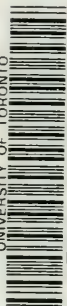


UNIVERSITY OF TORONTO



3 1761 00450792 7







# فهرست

صحيفة

.. مقدمه

١ المرأة في حكم التاريخ

٢٧ حرية المرأة

٧٤ الواجب على المرأة لنفسها

١١٠ الواجب على المرأة لعائلتها

١٥٦ التربية والحجاب

٢١٣ خاتمة - حالة الافكار الان في مصر بالنسبة للنساء

( ٢٢٩ )

ذكرناه باعداد نفوس الناشئين الى الحال المطلوب احدا منها  
ذلك هو السير الطبيعى البعيد الامد المحفوف  
بالمصاعب. ولكن اسهل المصاعب هي التي تنتهى بالفوز  
والنجاح وأقرب الطرق هي التي توصل الى المقصد  
« انتهى »

الاهمية . فالتاجر الذي يقضى نهاره في حانوت لبيع  
بضاعته والـكاتب الذي يمضى بضع ساعات في ديوان  
من دواوين الحكومة يشتغل فيها بتحرير افادة الى  
مصلحة أخرى والمهندس الذي يبني قنطرة لتسهيل  
المواصلات بين البلاد والطبيب الذي يقطع عضو أليحي  
باقى اعضاء الجسم والقاضى الذى يفصل فى المنازعات  
التي تقوم بين الناس جميع هؤلاء وغيرهم لا يوجد منهم  
واحد يحق له أن يدعي أن عمله يفيد الهيئة الاجتماعية  
اكثر من عمل امرأة تهدي الى الجمعية رجلا وتربيه على  
أن يكون نافعا لنفسه ولاهله ولا أمته

نحن لا نقول لكم كما يقول غيرنا اتحدوا وكونوا  
عوننا بعضكم لبعض أو طهروا أنفسكم من العيوب التي  
تهمدونها فى اخلافكم أو أخدموا أهلكم ووطنكم أو ما  
يمائل ذلك من الكلام الذى يذهب فى الهواء . نحن  
نعلم ان تغيير النفوس لا ينفع فيه نصيحة مرشد ولا  
أمر سلطان ولا سحر ساحر ولا كرامة ولى . وانما يتم كما

الجهل والحجاب . هذه الوسيلة نحن لم نبتكرها وليس لنا فضل في اختراعها فقد استعملتها أمم من قبلنا وجربتها وانتفعت منها . انظروا الى الامم الغربية تجدوا بين نساءها اختلافات عظيمة . تجدوا ان تربية المرأة الامريكية واخلاقها وعاداتها وآدابها غير تربية واخلاق وآداب المرأة الفرنسية وان هذه تختلف من كل هذه الوجوه عن المرأة الروسية وان المرأة التليانية لا تشبه في شيء من ذلك المرأة السويدية ولا الالمانية . ولكن جميع هؤلاء النساء على اختلاف الاقليم والجنس واللغة والدين يبنهن آخذن واجتمعن في امر واحد وهو انهن يملكن حريتهن ويتمتعن باستقلالهن

هذه الحرية هي التي اخرجت المرأة الغربية من انحطاطها القديم . فلما اضيف عليها التعليم وجهت ارادتها الى ان تشترك مع الرجال في تقدم الجمعية التي تنتسب اليها . وتم هذا الاشتراك باثباتها اعمالا مفيدة تختلف بلا ريب عن أعمال الرجال ولكن لا تنقص عنها في



اليوم التالي ويسجن زوجاته وبناته واخواته وأمه وجدته  
اذا شاء

يوجد في افريقيا وآسيا أمم عديدة يعيش النساء  
فيها مدفونات في البيوت بحيث لا يرين انسانا ولا يراهن  
أحد . ويوجد بين هذه الامم من وصلت عندها حياة  
المرأة من الحقارة الى حد انه متى توفي زوجها وجب عليها  
ان تعدم نفسها لكي لا تتمتع بالحياة بعده فما علينا الا ان  
نوجه انظارنا الى هؤلاء الامم ونسألهم عن سر تقديم  
نساءهم في الجهل والاحتجاب لعلنا نجد عندهم ما يقوى  
حجتنا في تشديد الحجاب والحجر على المرأة

اما اذا كان المقصد هو ما نقرأه ونسمعه كل يوم  
من أن المصريين يريدون ان يكونوا امة حية راقية  
متمدنة فلنا أن نقول لهم :

يوجد وسيلة تخرجكم من الحالة السيئة التي تشتكون  
منها وتصعد بكم الى أعلى مراتب التمدن كما تشتنون  
وفوق ما تشتنون ألا وهي تحرير نساءكم من قيود

فينا بالتأثر عن مخالطة الغربيين وبمقتضى حكم الناموس  
المعروف عند علماء التاريخ الطبيعى القاضى بان كل حيوان  
يتطبع بطبيعة الوسط الذى يعيش فيه. والدليل على ان لا  
دخل لارادتنا فى هذه الحركة اننا عند ما قلنا بوجوب  
المحافظة عليها وأمدادها حتى نبلغ منها الغاية لا نينا معارضة  
شديدة حتى ممن ظهرت مبادئه. هذا التحول فى  
نفوسهم وبدت بوادره فى بيوتهم

ولا عجب فى ذلك فان شأننا ان نتبع اهواءنا فى  
جميع اعمالنا

وقد اظننا الوقت الذى يجب فيه ان نفر ماذا نريد؟  
ان كان مقصدنا من الحياة ان يعيش كل منا بضع  
سنين يقضيها فى اى حال كانت واستوى لدينا العز والذل  
والغنى والفقر والحرية والرق والعلم والجهل والفضيلة  
والرذيلة فأرى ان مامنح الى الآن للمرأة المصرية من  
الحرية والتربية لا داعى له. ولا أجد مانعاً من ان يتمتع  
الرجل بعدة نساء. ويتزوج كل يوم امرأة ثم يطلقها فى

« عشرة مادة مستخلصة من مذهب الامام مالك رضى  
 « الله عنه المطلوب ابدأ رأينا فيه قد رأينا ما رأيتوه »  
 « ووقعنا عليه بالموافقة وشكرنا هممتكم العلية على اعتناء »  
 « فضيلتكم بهذا الخطب الجليل وطيه المشروع المذكور »  
 « افندم » الفقير سليم البشرى

٦ ربيع آخر سنة ١٣١٨ المالكى خادم العلم  
 والفقراء بالازهر

هاتان المسئلتان مسألة تعدد الزوجات ومسئلة  
 تخويل المرأة حق الطلاق هما من اهم المسائل التى استلقتنا  
 اليها الانظار فى كتاب تحرير المرأة ويسرنا أن عالمنا عظاما  
 وفقهيا حكما مثل حضرة الاستاذ الشيخ محمد عبده رأى  
 انهما جديران بانهمته فأيد بصوته المسموع ما اقترحناه فيهما  
 جميع هذه العلامات وغيرها مما يلاحظ فى البيوت  
 كل يوم تدبنا بأن حالة المرأة المصرية آخذة فى التحسن  
 والترقى .

غير ان هذه الحركة لم تصدر عن نظور وروية بل حدثت

يكونا جارين فان تعذر العدول من الاقارب فانه يعينهما  
من الاجانب وأن يبعث بهما الى الزوجين فان  
اصلحاهما فيها والا حكما بالطلاق ورفعا الامر اليه وعليه  
ان يقضى بما حكما به ويقع التطلاق في هذه الحالة طلقة  
واحدة بائنة ولا يجوز للحكمين الزيادة عليها

(المادة الاحد عشرة) للزوجة أن تطلب من  
القاضي التطلاق على الزوج اذا كان يصلها منه ضرر  
والضرر هو ما لا يجوز شرعا كالهجر بغير سبب شرعي  
والضرب والسب بدون سبب شرعي وعلى الزوجة أن  
تثبت كل ذلك بالطرق الشرعية .

وقد وافق على هذا المشروع حضرة شيخ الجامع  
الازهر حيث أرسل الى حضرة المفتي الجواب الآتى:  
« حضرة الاستاذ صاحب الفضيلة مفتي افندي »  
« الديار المصرية أيده الله »

« باطلاعنا على خطاب فضيلتكم المؤرخ؛ الجاري »  
« نمرة ١٩ وعلى المشروع المرفق به المشتمل على احد »

العثور عليه تعمد الزوجة ولها ان تزوج بعد العدة ويورث ماله بمجرد العجز عن خبره فان لم يثبت الا انه سار مع الجيش فقط كان حكمه ما في المادتين السابقتين

( المادة التاسعة ) لزوجة المفقود في حرب بين المسلمين وغيرهم ان ترفع الامر الى ناظر الحقايبه وبعد البحث عنه يضرب لها اجل سنة فاذا انقضت اعتدت وحل لها الزواج بعد العدة ويورث ماله بعد انقضاء السنة وكل ضرب الآجال لاعتداد زوجة المفقود اذ كان في ماله ما تنفق منه الزوجة أو لم تخش على نفسها الفتنة والا رفعت الامر الى القاضى ليطلق عليه متى ثبت له صحة دعواها

( المادة العاشرة ) اذا اشتد النزاع بين الزوجين ولم يمكن انقطاعه بينهما بطريقة من الطرق المنصوص عليها من كتاب الله تعالى رفع الامر الى قاضى المركز وعليه عند ذلك ان يعين حكيمين عدلين أحدهما من اقارب الزوج والثانى من اقارب الزوجة والافضل ان

عنه في مظنات وجوده بطرق النشر للحكام ورجال  
البوليس وبعد العجز عن خبره يضرب لها اجل اربع  
سنين فاذا انتهت تعقد الزوجة عدة وفاة أربعة أشهر  
وعشرأ بدون حاجة الى قضاء ويحل لها بعد ذلك ان  
تتزوج بغيره

(المادة السابعة) اذا جاء المفقود أو تبين انه حي وكان  
ذلك قبل تمتع الزوج الثاني بها غير عالم بحياته كانت  
الزوجة للمفقود ولو بعد العقد مطلقاً او بعد التمتع في حال  
مالمو كان الزوج الثاني عالماً بحياة المفقود فان ظهر ان  
المفقود مات في المدة أو بعدها قبل العقد على الزواج  
الثاني أو بعده وورثته مالم يكن تمتع بها الثاني غير عالم  
بحياة الاول فان مات بعد تمتعه وهو غير عالم بحياة  
الزوج الاول لم ترث

(المادة الثامنة) من فقد في معترك بين المسلمين  
بعضهم مع بعض وثبت انه حضر القتال جاز لزوجته  
ان ترفع الامر الى ناظر الحقاية وبعد البحث عنه وعدم

## الزوجة طلق عليه القاضى

( المادة الرابعة ) اذا كان للزوج الغائب مال او دين فى ذمته احد أو وديعة فى يده آخر كان للزوجة حق طلب فرض النفقة من ذلك المال أو الدين ولها ان تقيم البيينة على من ينكر الدين أو الوديعة ويتقاضى بطلبها بلا كفيل وذلك بعد ان تحلف انها مستحقة للنفقة على الغائب وانه لم يترك لها مالا ولم يقيم عنه وكيل فى الانفاق عليها

( المادة الخامسة ) تطليق القاضى لعدم الانفاق يقع رجوعيا وللزوج أن يراجع زوجته اذا أثبت ايساره واستعد للانفاق فى اثناء العدة فان لم يثبت ايساره او لم يستعد للانفاق لم تصح الرجعة

( المادة السادسة ) من فقد فى بلاد المسلمين وانقطع خبره عن زوجته كان لها ان ترفع الامر الى نظارة الحقانية مع بيان الجهة التى تعرف او تظن انه سار اليها او يمكن ان يوجد فيها وعلى ناظر الحقانية عند ذلك ان يبحث

(المادة الاولى) اذا امتنع الزوج عن الانفاق على زوجته فان كان له مال ظاهر نفذ الحكم عليه بالنفقة في ماله فان لم يكن له مال ظاهر واصر على عدم الانفاق طلق عليه القاضى فى الحال وان ادعى العجز فان لم يثبت طلق عليه حالا وان اثبت الاعسار امهله مدة لا تزيد على شهر فان لم ينفق طلق عليه بعد ذلك

(المادة الثانية) ان كان الزوج مريضا او مسجونا وامتنع عن الانفاق على زوجته امهله القاضى مدة يرجى فيها الشفاء او الخلاص من السجن فان طالت مدة المرض او السجن بحيث يخشى الضرر او الفتنة طلق عليه القاضى

(المادة الثالثة) اذا كان الزوج غائبا غيبه قريبه ولم يترك نفقة لزوجته ضرب القاضى له اجلا فان لم يرسل ماتنفق منه زوجته على نفسها او لم يحضر للانفاق عليها طلق عليه القاضى بعد مضى الاجل فان كان بعيد الغيبة او كان مجهول المحل وثبت انه لا مال له تنفق منه



« معهن في نزاع على النفقات وسائر حقوق الزوجية »  
 « ثم انه لا يطلقهن ولا واحدة منهن ولا يزال الفساد »  
 « يتغلغل فيهن وفي أولادهن ولا يمكن له ولا لهن »  
 « أن يقيموا حدود الله وضرر ذلك بالدين والامة غير »  
 « خاف على أحد »

وقد حدث في هذا العام ان كثيراً من النساء اللواتي حكم على أزواجهن بالاشغال الشاقة مؤبداً أو بالسجن المؤبد أو بالحبس مدة طويلة تشكين الى نظارة الحقانية من حالتهن التعيسة حيث لا سبيل لهن من الانفصال من أزواجهن ولا بوجودهن عائل يقوم بنفقاتهن ومعايش أولادهن فاضطرت نظارة الحقانية الى استفتاء حضرة مفتي الديار المصرية عن الوجوه الشرعية التي يمكن اتخاذها لازالة أسباب الشكوى فبحث حضرة في هذه المسألة وفي مسائل أخرى تشابهها واستنتج من فقه المالكية احدى عشر مادة وقدمها الى نظارة الحقانية واليك بيانها ننشرها افادة للفقراء

اولا - شعوراً جديداً عند المصريين بالحاجة الى تربية  
بناتهم بمد ان كانوا لا يعلمون شيئاً

ثانياً - تخفيف الحجاب وذهابه شيئاً فشيئاً الى التلاشي  
ثالثاً - تأفف الشبان من التزوج على الطريقة الحالية

وتمنيهم تغييرها بما يمكنهم من معرفة المخطوبة

رابعا - اهتمام الحكومة وبعض أبناء البلاد وفي

مقدمتهم صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده مفتي الديار

المصرية باصلاح المحاكم الشرعية . وكل من اطلع على

التقرير الجليل الذي وضعه فضيلته بشأن تلك المحاكم يجد

فيه اموراً كثيرة تأتي باصلاح كبير في العائلات المصرية

واخص بالذكر منها ما اتى به عند الكلام على تعدد

الزوجات حيث قال

« هذا وانى أرفع صوتي بالشكوى من كثرة ما »

« يجمع الفقراء من الزوجات في عصمة واحدة فان »

« الكثير منهم عنده أربع من الزوجات أو ثلاث أو »

« اثنان وهو لا يستطيع الاتفاق عليهن ولا يزال »

بعضهم الى القول بانها جنابة على الوطن والدين. وأوهما  
 في ما كتبوا ان تحرير المرأة الشرقية امنية من امانى  
 الامم المسيحية تريد بها هدم الدين الاسلامى ومن  
 يعصدها من المسلمين فليس منهم الى غير ذلك من  
 الاوهام التى يصفى اليها البسطاء ويتلذذ باعتقادها  
 الجهلاء لعدم ادراكهم منافهم الحقيقية

ونحن لا نريد ان نرد عليهم الا بكلمة واحدة :  
 وهى ان الاوروبيين اذا كانوا يقصدون الاضرار بنا  
 عليهم الا ان يتركونا لانفسنا فانهم لا يجدون وسيلة  
 أوفى بفرضهم فينا من حالتنا الحاضرة

هذا هو الحق الذى لا ريب فيه . ومهما اجتهد  
 قوم فى اخفائه وغفل آخرون عنه فلا بد ان ينجلى  
 للكل عاجلا أو آجلا . شأن الحقيقة فى جميع الازمان  
 وكل ناظر فى أحوال هيئتنا الاجتماعية الحاضرة  
 يجد فيها ما يدل على ان النساء عندنا قطعن دور الاستعباد  
 ولم يبق بينهن وبين الحرية الاحجاب رقيق . اذ يرى

حال الى حال . لان كل تغيير في الامم انما يكون نتيجة  
لمجموع فضائل وصفات وأخلاق وعادات لا تولد في  
النفوس ولا تتمكن منها بالتربية أى بواسطة المرأة

فاذا أراد المصريون ان يصلحوا أحوالهم فعليهم ان  
يبتدأوا في الاصلاح من أوله . يجب عليهم ان يعتقدوا  
بان لارجاء في ان يكونوا أمة حية ذات شأن بين الامم  
الرائية ومقام في عالم التمدن الانساني قبل ان تكون  
بيوتهم وعائلتهم وسطاً صالحاً لاعداد رجال متصفين  
بتلك الصفات التي يتوقف عليها النجاح . ولا رجاء في  
ان البيوت والعائلات تصير ذلك الوسط الصالح الا اذا  
تربت النساء وشاركن الرجال في أفكارهم وآمالهم وآلامهم  
ان لم يشاركونهم في جميع أعمالهم

هذه الحقيقة مع بساطتها وبداهتها قد اعتبرها  
الناس يوم جاهرنا بها في العام الماضي ضرباً من الهذيان  
وحكم الفقهاء بانها خرق في الاسلام وعددها الكثير من  
متخرجي المدارس مبالغة في تقليد الغربيين بل انتهى

والتفاني في خدمته وغيره الى التمسك باحكام الدين  
وهلم جرأ

ولكن فات هؤلاء المرشدين أمر واحد وهو ان  
هذه الكلمات وما شاكلها لا يمكن ان يكون لها في  
حياة الامة أثر يذكر الا اذا وصلت الى النساء وادركت  
النساء معانيها وتعلقت نفوسهن بحبها وتوجهت ميولهن  
اليها حتى يمكنهن بعد ذلك ان يضعن أولادهن باحسن  
الصور التي تمثل كمال الانسان في اذهانهم

ذلك لان كل حال اجتماعيه لا يمكن تغييرها الا  
اذا وجهت التربية نحو التغيير المطلوب ولانه لا يكفي  
في الاصلاح مهما كان موضوعه مجرد حاجة اليه ولا امر  
تصدره الحكومة بحمل الناس عليه ولا خطبة تلقى على  
مسامعهم لترغيبهم فيه ولا كتب تؤلف في بيان منافعه  
ولا مقالات تنشر لشرح مزاياه. فان هذه الامور كلها  
لا أثر لها الا في ارشاد الامة وتنبيهها الى سوء حالها  
ولكنها ليست من الوسائل التي تغير الامم وتحولها من

## ❦ خاتمة ❦

### ❦ حالة الافكار الآن في مصر بالنسبة للنساء ❦

ابتدأ المصريون في هذه السنين الاخيرة يشعرون بسوء حالتهم الاجتماعية وبدأت عليهم علامات التألم منها وأحسوا بضرورة العمل على تحسينها. وصلت اليهم اخبار الغربيين واختلطوا بهم وعاشروا الكثير منهم وعرفوا مبلغ تقدمهم فلما رأوا انهم متمتعون بطيب العيش واتساع السلطة ونفوذ الكلمة وغير ذلك من المزايا التي وجدوا انفسهم محرومين منها والتي لا قيمة للحياة بدونها انبعث فيهم الشوق الى مجاراتهم والرغبة في الحصول على تلك النعم. وقام بيننا المرشدون وتراحمو اعلي بث الافكار التي اعتقدوا انها تهدي الامة الى طريق النجاح. هذا يدعو الى العمل والنشاط وذاك الى ائتلاف القلوب والاتحاد ونبذ اسباب الشقاق وآخر الى حب الوطن

لاتخالطهم وماهى حقوقها فى الزواج والطلاق وماذا  
 يكون شأنها فى العائلة وفى الامة فهذه اولامسئلة اجتماعية  
 فهى بذلك مسئلة علمية ولاغرابة بعد ذلك فى حصول  
 الاتفاق فيها

لهذا يلزمننا بدل ان نهزأ بالغربيين ونحكيم عليهم  
 بمقتضى قاعدة تخيلناها وهى انهم ضلوا عن الحق فى ما  
 يختص بشاأن النساء عندهم - يلزمننا بدل ذلك ان نقف  
 على افكارهم فى هذه المسئلة ونبحث فى آراءهم وفى اسباب  
 النهضة العظيمة التى قام بها الرجال والنساء فى هذا القرن  
 وندرس جميع نتائجها الحالية . وبعد ذلك يمكن أن نكون  
 لانفسنا رأيا صحيحا مؤسسا على النظريات العقلية  
 الصحيحة ومؤيدا بالتجارب والوقائع

النفس حق قدره ولا يفارون على نساءهم . هذا القول  
الذي سمعته من كثير من الناس لا يمكن ان يصدر الا  
من قليل الخبرة ناقص المعرفة لم يقف على شئ من  
احوال سكان تلك البلاد فهو لا يدري منها اكثر مما  
يدريه من احوالنا سائح غربي يدور في الازبكية وما  
جاورها ويكتب من عوائد ما يراه من الطائفتين حول  
تلك الاماكن المشهورة

اذن فما هو السبب ؟

السبب هو ان مسألة حقوق المرأة وحريةها ليست في  
الحقيقة مجرد عادة نرى الغربي يرفع قبعتها اذا اراد التحية  
والشرقي يحرك يده ويضعها على رأسه فهذه عادة من  
العادات يمكن ان يكون لها ارتباط بتاريخ الشرق والغرب  
ولكن اهميتها لا تعتمد الموضوع الصغير الذي وضعت  
لاجله ولا يمكن ان يترتب عليها نتيجة في الحياة الشخصية  
او العامة . أما كون المرأة تتعلم أو لا تتعلم وتميش  
مسيحونة في البيت أو متمتعة بحريتها وتخالط الرجال أو



الوجود . ومع ذلك لم يخطر على بال واحد منهم ان يطلب حجاب النساء . بل نرى الامر بالعكس فان المتطرفين من ارباب المذاهب يطلبون التوسع في حرية المرأة والزيادة في حقوقها الى ان تصير مساوية للرجل . فهم على شططهم متفقون في ذلك مع ارباب المشارب المعتدلة

فما هو سر هذا الاتفاق وما سببه ؟ ألا ان الاوربيين لا يحبون التغيير في عاداتهم ؟ كلا . فان التغيير عندهم هو قانون تقدمهم . ومن التي نظرة عامة في تاريخهم من قرن واحد يجد انهم غيروا كل شيء عندهم : غيروا حكومتهم ولغتهم وعلومهم وفنونهم وقوانينهم وملابسهم وعاداتهم وان كل ما وصلت اليه هذه الامور معرض الان لانتقاد الباحثين منهم ومهدد بالتغيير والتبديل من وقت الى آخر

كذلك لا يصح ان يكون من اسباب هذا الاتفاق ما يقال من ان الاوربيين لا يقدرّون شرف

أنواعها ووصفها بآداب وأوصافها وربوها واستولدوها  
غفلوا عن هذه المادة وأهملوها

والحقيقة أنهم درسوها درساً تاماً كغيرها من  
المسائل الأخرى وقارنوا بينها وبين عاداتنا الشرقية ولا  
أعلم أن واحداً منهم قام ينادى قومه يوماً ويحثهم على  
تغييرها . بل الكل متفقون على أن حجاب النساء هو  
سبب انحطاط الشرق وأن عدم الحجاب هو السر في  
تقدم الغرب . وإنما الخلاف يوجد بينهم في تحديد  
حقوق المرأة السياسية كما بيناه

هذا الإجماع أمر جدير بأن يستوقف نظرنا . وجد  
بين الغربيين رجال يرون أن الملكية الخاصة هي سرقة  
وأن الأموال يجب أن تكون ملكاً مشتركاً بين جميع أفراد  
الامة . وظهر فيهم من يقول بالغاء نظام الزواج حتى  
تكون العلاقات بين الرجل والمرأة حرة لا تخضع لنظام  
ولا يحددها قانون . وخرج منهم طائفة تنادى بهدم كل  
نظام وشرع ولا تعترف للحكومة معها كان شكها بحق

ان تكون نبيهة متعلمة ؟ لما ذا يسمح لها ان تخرج متى  
 شاءت وتساfer وتخالط الرجال والنساء ؟ لما ذا كل هذه  
 الحرية وكل هذا الاحترام ؟ فاجواب الواحد منا لا يكون  
 الا ان هذه هي عادتهم السيئة ولكن هذا الجواب لا  
 يفيد شيئاً لانه يستدعى سؤالاً آخر وهو لما ذا كانت  
 هذه العادة ؟ وهنا يتيسر له الجواب

لو كان موضوع بحثنا عادية من عادات امة متوحشة  
 لسهل علينا ان نقول ان هذه العادة طرأت عليها بحكم  
 الحوادث وتلك الامة تعمل تحت سلطانها بدون ان  
 تفتكر فيها وهي تجهل اصلها وارتباطها باحوالها كما تجهل  
 الاثر الذي ينشأ عنها في شؤونها

ولكن مما لا يسلمه العقل ان اهل اوربا وامريكا  
 يسرون على هذه العادة من غير شعور منهم باسبابها  
 ونتائجها ويصعب على العقل ان يظن ان علماءهم الذين  
 يجهدون انفسهم كل يوم في اكتشاف اسرار الطبيعة  
 وان هؤلاء الذين بحثوا عن الميكروبات ووجدوها وبنوا

والزراعة والعلوم والفنون . وعلى الجملة يجد اثرًا للترقي  
في جميع مظاهر حياتها العقلية والادبية

ذلك لان الحالة العقلية والحالة الادبية متلازمتان  
تلازماً تاماً بل هما في الحقيقة حالة واحدة وانما وضع لهما  
اسمان بحسب اختلاف الجهة التي ينظر منها اليها فان  
كل معلوم يرد على العقل يفيد معرفة جديدة ثم هو  
بهذه الافادة نفسها يدخل في نظام سلوكنا ولو كان  
العلم قاصراً على المعرفة فقط وليس له اثر في العمل لفقد  
معظم اهميته ان لم نقل كلها

واما اختلاف عادات الغربيين عن عاداتنا و خروج  
نسائهم مكشوفات الوجوه واجتماعهن مع الرجال وتمتعهن  
بالحرية واحترام الرجال لهن فليس مما يدل على انحطاط  
الآداب عندهم

نعم يعد الكثير من هذه العادات عيوباً ولكن اذا  
سئلت لماذا يعامل الغربيون نساءهم على هذه الطريقة ؟  
لماذا يحترم الرجل منهم امرأته ويجلسها عن يمينه ويحب

وبالجملة نقول ان التمدن الاوربي ليس خيراً محضاً  
 فان الخير المحض ليس موجوداً في عالمنا هذا لانه عالم  
 النقص . وانما هو الخير الذي أمكن للانسان ان يصل  
 اليه الآن . فقد أتم به شيئاً مما كان ينقصه وارتقى به  
 درجة من الكمال

ومهما كانت هذه النتيجة صغيرة في جانب ما ينتظر  
 للنفس الانسانية من الكمال فانه ينبغي لنا ان نقنع بها  
 وعلى المستقبل ان يصل بأهله الى ما هو أعلى منها  
 ومن الخطأ ما يتوهمه الكثير منا من ان الترقى  
 يحصل في بعض شؤون الامة ولا يؤثر في سائرها .  
 والصواب ان الترقى لا يكون ترقياً صحيحاً الا اذا وجد  
 منه روح تظهر في جميع شؤون الامة جزئياً وكلياً حتى  
 اذا شاء باحث ان يحل جملة وجدها مركبة من جزئيات  
 من الترقى تظهر في المسكن والمطعم والملبس والمباني  
 والطرق والجمعيات والافراح والمآتم وأساليب التعليم  
 والترية والتياترات والملاهي كما تظهر في الصنائع والتجارة

ولهذا ترى الكثير من اعيان البلاد المشهورين باكرام  
الضيف والمبالغة في الاحتفال به يسـيرون في سائر  
شؤونهم على خلاف مقتضى الكرم فيظلمون الفقير  
ويطمعون في أموال الضعفاء من أقاربهم وخصوصاً  
النساء منهم ويضيقون على عائلتهم في المعيشة ويأتون  
من ذلك ما تأباه النفس الكريمة

وحال الأمة التركيـه لا يختلف في ذلك عن حالنا .  
نعم في بعض بلاد الريف هناك رقى في الآداب والاخلاق  
وامتيازها على الاخلاق والآداب المصرية . ولكن لا  
سبب لذلك الا ان التركي يعيش في قريته بغاية السذاجة  
وعلى ضرب من سعة العيش فلا يجد ما يحمله على ارتكاب  
ما يخالف الآداب الحسنه . وهو بعيد عن كثير من  
الردائل لانه يجهلها ولا يتصور وجودها . فاذا فارق  
قريته وسكن مدينة من المدن رأته ولا يجاربه أحد  
في مسابقة أهلها الى مراتع اللذات ومسارح الشهوات  
وفاق أمثاله في جميع العيوب الاخرى

« ولكن يبذل وقته وفكره وعمله »

نستنتج مما سبق ان تقدم الغربيين في العلوم ساعد كل المساعدة على ترفيهم في الآداب وان تأخر المعارف عندنا كان سبباً في انحطاط آدابنا

وهذه حوادث عائلتنا وما يجري فيها بين الاب وابنه والاخ وأخيه والزوج وزوجته مما لا يحتاج بيانه الى تفصيل وهذه حوادث القرى وما يشاهد فيها من الحسد والتباغض والخيانة والمنازعات والجرائم البهيمية التي يحار العقل فيها وهذه حوادث الوطن وما يرى في روابط اهله من الانحلال وتفرقهم في الرأى في احقر الشؤون وحرصهم على المال ان لا ينفقوه في سبيل اى منفعة من المنافع العامة وضمنهم بشىء من اوقاتهم للفكر في اى مصلحة من مصالح بلادهم كل هذا برهان على انحطاط اخلاقنا. وما يكون عندنا من محاسن الاخلاق كالكرم المهود في كثير من بلاد الازيا ف يرجع في الحقيقة الى عيب من العيوب كالتنافس في حب الشهرة

« غلفها ولم يقرأوا شيئا منها ولم يجهدوا انفسهم يوماني »  
 « فهم ما احتوت عليه . فاذا تكون قيمة هذا المدح »  
 « في نظرنا ؛ وما الذي نمتقده في صدق هؤلاء المادحين »  
 « ان جاز لنا أن نقيس عظام الاشياء بصغارها نقول »  
 « ان الناس يعاملون الكون وخالقه بهذه المعاملة . »  
 « وأدهى ما ياتون من تلك المعاملة انهم لا يكتفون »  
 « بان يعيشوا ويموتوا وهم لا يعرفون حقيقة من حقائق »  
 « تلك الاشياء التي ينادون بانها من أبداع البدائع »  
 « واغرب الغرائب بل ينحون باللائمة على من يشتغل »  
 « بفهم حقائقها والوقوف على ما أودع فيها من الاسرار »  
 « ولوفقهو العلماء ان اهمال العلم هو المضعف للاحساس »  
 « الديني بل المالحق له . اما خدمة العلم فهي عبادة »  
 « يؤديها القلب لأن خدمة العلم هي اعتراف ضمنى بان »  
 « للمخلوقات قيمة عالية وان الذي أوجدها له شأن »  
 « اعلى ومقام اسمى . خدمة العلم هي احترام للكون »  
 « وصانه يؤديه طالب العلم لا بمجرد الفم واللسان »



الى مايتأثر به حسنا أو قبيحا ومائل الى قبول ما يرى  
اغلب الناس عليه بدون بحث فاذا انقطعت المادة مرة  
وذاق لذة الرذيلة انفلت قياد نفسه من يده واستحال  
عليه أن يرجع الى ما كان عليه من قبل

رأينا ان العلم يقوى حكم العقل ويهذب النفس  
وأضيف على ذلك انه يعظم الاحساس الدينى . وایس  
في ذكر هذه العبارة خروج عن الموضوع لان الدين  
والادب يرجعان في الحقيقة الى شىء واحد

وأجمل ما قيل في هذا المعنى ما أتى به الفيلسوف  
سبنسر في كتابه الذى كتبه في التربية أقتطف منه هنا  
بعض ما يليق بالمقام . قال

« ليس العلم منافيا للاحساس الدينى كما يزعم كثير »  
« من الناس . بل ترك العلم هو المنافى للدين . ولنضرب »  
« لذلك مثلا فنفرض ان عالما من كبار المؤلفين يصنف »  
« الكتب ويقرر الحقائق والناس يشنون عليه ويطلقون »  
« أسنتهم بمدحه ولكنهم مع ذلك لم يروا من كتبه الا »

الى الآخر . والترقى الادبى انما هو هذا التضامن بعينه  
وليس هذا بغريب فان التقدم فى العلوم يؤدى الى  
التقدم فى الآداب والاخلاق . لا ريب ان الارتقاء  
العقلى يصحبه الارتقاء الادبى دائما فان العلم هو المادة  
التي يتغذى منها الادب . لا أقول انه لا يوجد الادب  
الا حيث يوجد العلم وانما اقول ان ادب الجاهل لا يمكن  
أن يكون ثابتا فى نفسه مثل ثبات الادب فى نفس العالم .  
العلم يخاطب العقل والحقائق العلمية لا تطلب ان يسلم  
بها من غير مناقشة بل تحتاج الى بحث وتمعن وشغل  
والاعتياد على الاشتغال بالعلم يكسب الاعتياد على ضبط  
النفوس الذى هو أهم أركان الادب . فاذا هم شخص  
اشربت نفسه العلم أن يعمل أمر مخالف للآداب تزوع منه  
نازع الى النظر فى ذلك الامر وآثاره ومزاياه ومضاره  
ثم رجع الى نفسه ليعلم هل يصح لها أو لا يصح ويندر  
حينئذ أن يقدم عليه . اما الجاهل فان كان فاضلا لم  
تكن الفضيلة فيه الاعادة مجردة وهو مستعد للاذعان

للسائح الذي يقضى الشهور والسنين بعيداً عن أهله  
 وبلده ليكتشف منابع النيل مثلاً . وما هو الاحساس  
 الذي يرضى القسيس بالمعيشة بين المتوحشين مع ما يتكبد  
 من انواع العذاب وما يحيط به من الاخطار . وما هذا  
 الوجدان الذي يسوق الغنى الى أن يبذل آلافاً من  
 الجنيهات لجمعيه من الجمعيات الخيرية أو لعمل يعود نفعه  
 على أمته أو على الانسانية

إذا علم السر في هذه الصفات ومصادر هذه  
 الاعمال الجليلة ثم علم ما بين أعضاء العائلات من الوفاق  
 والاتلاف والمحبة ونظر الى ما في معاملاتهم من الصدق  
 في القول والغيرة على الحق ونمو احساس الشرف والميل  
 الى مساعدة الضعيف والفقير والرأفة بالحيوان فلا شك  
 انه ينتهي من هذا العلم الى نتيجة صحيحة وهي ان هؤلاء  
 القوم على جانب عظيم من الادب والفضيلة . لان هذه  
 الاعمال والاحوال تدل على ضعف سلطان حب النفس  
 كما تدل على نمو الاحساس بحاجة كل من أفراد الامة

الغربيين الا بعض ما ظهر منها والكثير منا لا تزيد معرفته على ما عرف منها في الشوارع والقهاوى وما قرأه في بعض القصص والحكايات وليس من الحق ولا من العدل ان نظن ان هذه الظواهر هي صورة تامة لحقيقة منزلتهم من الادب

من اراد ان يكون حكمه فيهم صحيحاً فعليه ان يلم بجميع مظاهر حياة تلك الامم ويقف على جميع الاحساسات والمواطف التي تحرك نفوسهم وهذا امر يحتاج لمعرفة تامة بلغتهم وتاريخهم وعاداتهم واخلاقهم فاذا تمت للباحث هذه الشروط امكنه ان يعرف لم يهب رجل المانى حياته ويترك زوجته واولاده مساعدة لامة البوير . ولماذا يحتقر عالم من العلماء طيب العيش ولذائد الحياة ويرجع الاشتغال بحل مسئلة او كشف غامضة او فهم علة . وكيف ان سياسياً واسع الثروة على المقام يفنى زمنه في تدبير الوسائل لاعلاء شأن امته وربما حرم نفسه راحة النوم في ذلك السبيل . وما هو المحرك

ولا يشك أحد في أنه مع مرور الزمن وانتشار  
المعارف وتحسين طرق التربية في طبقات الأمة عاليا  
ودانيتها تهذب النفوس شيئا فشيئا وتقرب من الكمال  
الذي هو ضالتها

غير أنه لا يفوت القارئ أن هذا الفساد الذي  
ذكرناه في الأمم الغربية لم يضعف فيهم الفضائل الاجتماعية  
التي هي الركن الأقوى لبناء الأمم وما يتبع تلك الفضائل  
من بذل النفس والأموال في سبيل تعزيز الوطن أو  
الدفاع عنه فادنى رجل في الغرب كأعلى رجل فيه إذا  
دعى داع إلى هجوم أو قيام لدفاع أو إلى عمل نافع  
يترك جميع لذائذه وينساها وينهض لاجابة الداعي ومخاطر  
بنفسه ويبذل ماله إلى أن يتم للأمة ما تريد فإين حال  
هاتين الطبقتين من هذه الفضائل الجليلة في الأمم الغربية  
من حالة الأمة الشرقية ؟

وأما الطبقة الوسطى فلا ريب أنها أرقى من التي  
تقابلها عندنا نحن في الحقيقة لانعرف من أحوال

لهم ارضاء شهواتهم ويجدون من الوسائل لذلك مالا  
يوجد عندنا فابدعوا في اختراع طرق التلذذ واءطوها  
الاشكال التي تجذب النفوس اليها . فالكهرباء مثلالتي  
تضيء المدن وتنقل الاخبار وينتفع منها الزارع والتاجر  
والصانع والمسافر والمريض تقوم لارباب الخلاعة بخدمات  
من الوجهه الذي يناسبهم . وكذلك ترى لهم جرائد  
وكتبا وميادين تمثيل تختص بهم كما ان لهم الجنان  
الناصرة والقصور الشاهقة

هذا الفساد مما تتحمله المدينة الغربية وتصبر عليه  
لانها لا تستطيع محوه . فان هذه المدينة مؤسسة على  
الحرية الشخصية فهي مضطرة لان تقبل ما يتبع هذه  
الحرية من الضرر لانها تعلم ان منافعها اكثر من  
مضارها

فوجود الفساد في الغرب انما هو لاحق طبيعي  
من لواحق الحرية الشخصية ونتيجة من نتائجها في الطور  
الادبي الحالى الذي توجد فيه تلك البلاد الآن

## من الغناء لتنويم الاطفال

وغاية ما في الامر ان تقدم الاوروبيين علينا من هذه الجهة لا يقام الدليل عليه بانارمادية كتقدمهم في العلوم والصنائع وانما يعرفه من خالطهم واختبرهم في ظاهر شؤونهم وباطنها حتى وقف على منزلتهم من الخصائص الادبية

ينقسم الاوروبيون كما تنقسم سائر الامم الى ثلاث طبقات عليا ووسطى ودنيا . فاما الطبقة الدنيا فاكبر حظها من التربية معرفة القراءة والكتابة وقليل من مبادئ العلوم وهم في اخلاقهم الشخصية اشد فسادا من عامتنا في اخلاقها

وأما الطبقة العليا فتصيب حظا عظيما من التربية العقلية ولكن يغلب عليها ما يغرى به الغنى والبطالة . وتستولى عليها الشهوات . فهم يتفننون في اللذائذ تفنن أهل الجدد في الاختراعات والصنائع وسبب ذلك ان التمدن الذي يعيشون فيه يسهل

لان اليأس انما يكون عند استحالة الخلاص من التهلكة  
وليس لهذه الاستحالة محل بالنسبة اليها خصوصا ان  
الامم لا تقف في حياتها عند حد بل هي موضوع  
للتقلبات والتغيرات وتوارد عليها احوال القوة والضعف  
والشدة والرخاء فلا تدوم على حال واذا عرضت عليها  
الشدة يوما لا تلبث ان تخرج منها مجدها واجتهادها  
وبديهي ان التوجه الى الاصلاح والكمال لا يكون الا  
بعد الشعور بالنقص . فما لم تستشعر الامة بتأخرها عن  
الامم الاخرى وتقصيرها عن الوصول الى ما وصل اليه  
غيرها من غايات الكمال لا تنبعث الى التقدم ولا  
تتحرك لادراك غاية من هذه الغايات ولذلك كان تذييه  
الامة الى نقصها واشعارها بحقيقة منزلتها من بقية الامم  
اول فرض يجب القيام به كما ان شعور الامة بهذا  
النقص يعد اول خطوة في سبيل ترقيتها

لهذا لا تردد في ان نصرح بان القول باننا ارقى

من الغربيين في الاداب هو من قبيل ما تنشده الاممات



طالب للحق وجهربه كان نصيبه ان يتهم بالتجرد عن  
الوطنية وبالعداوة للدين والملة - واشدهم اقتصادا في ذمه  
يرميه بالطيش والخفة توها منه ان الاعتراف بفضل  
الاجنبي مما يزيد طمع الاجانب فينا وان اظهار عيوبنا مما  
يوقع اليأس في قلوبنا

ولا عذر لهم في حكمهم هذا الا انهم قد جروا فيه  
على سذنتهم في سائر احكامهم . والافهم مخطئون لان  
السبب في طمع الاجانب فينا ليس هو اعترافنا بأخطائنا  
وانما هو نفس ذلك الأخطا الذي عرفه الاجانب منا  
قبل ان نحس به من انفسنا . فهم قد اكتشفوا ما  
كانت عليه بلادنا من منذ خمسة آلاف سنة ووقفوا على  
اخلاق المصريين وتفصيل احوالهم في معيشتهم ايام  
الفراعنة وجمعوا من حقائق ذلك الوقت شيئا كثيرا لم  
يصل الينا الا منهم وقليل منا من يعرفه . فلا عجب ان  
يكونوا اسبق منا الى معرفة حالتنا الحاضرة نقصها وكمالها  
ثم لا خوف ان ياحقنا اليأس عند شعورنا بأخطائنا

جاره أو عدوه استعمل الطريقة التي ألفها وسلم بما  
تؤدي إليه من النتائج وخضع لها ولو كانت مخالفة  
لما يهواه

ولقد وصل الغربيون الى درجة رفيعة من التربية  
واشتغل كثير ممن كملت فيهم تلك التربية بالبحث عن  
أحوال الشرفيين والمسلمين وكتبوا في عاداتهم ولغتهم  
وآثارهم ودينهم وألفوا فيها كتباً نفيسة أو دعواها آراءهم  
ونماذج بحوثهم وامتدحوا مآراؤه مستحسناً للمدح وقدحوا  
في مآراؤه محلاً للقدح غير ناظرين في ذلك الا الى تقرير  
الحق وعلان الحقيقة صادفوا الصواب أم أخطأوه. أما  
عندنا فلم تبلغ التربية من الناس هذا المبلغ. ولهذا كان  
حكم كتابنا في هذه الاشياء في فياد الشهوات وتحت  
سلطة الاحساس والألف والعادة. ومن وجد لشعاع  
الحق لمعاناً في بصيرته وجد من خوف اللأمة عقلة في  
لسانه تمنعه من اظهاره او حمله الرياء على اطالة القول في  
تأييد مالا يمتقده فاذا وجد بينهم مخلص في القصد

للحق من نفوسهم وهم السواد الاعظم ضربوا دون  
الحق استاراً من الاكاذيب والاوهام والاضاليل مما  
تسوله لهم شهوتهم حتى لا يبق لسعاع من اشعة الحق  
منفذاً الى القلوب

وزد على ذلك ان التربية العلمية لم توجد في العالم  
الغربي الا من زمن قريب وهي لا تزال الى الآن مفقودة  
في الشرق . والمحروم من هذه التربية لا يسهل عليه ان  
يبنى أحكامه على مقدمات صحيحة . لأن الجاهل يستمد  
حكمه من احساسه لا من عقله . فهو لا يستحسن الشئ  
لانه مطابق للحق وانما يعتقد الشئ مطابقاً للحق لانه  
يستحسنه . بخلاف المتعود على الابحاث العلمية فان  
عقله لا ينخدع باحساسه فكما أراد ان يشتغل بمسئلة  
طبيعية أو تاريخية مثلاً جمع الحوادث التي تتعلق بها  
ورتب الوقائع واستنبط منها القاعدة التي يحكم بصحتها بناء  
على ما حصل من المقدمات غير صادرة في ذلك الا عن  
حب الحقيقة . فاذا عرض له ان يشتغل بالنظر في حال

الفضيلة بين الناس كان لنا الحق في احتقار المدينة  
الاوروبية ان صح ما اعتقدناه فيها

ولكن هل هذا الاعتقاد صحيح ؟

اما كون الآدب في الغرب احط منها في الشرق  
فهى مسألة لا يسمح لنا موضوعنا باستيفاء البحث فيها  
ويمكننا ان نجمل الكلام عليها في قليل من العبارات :

ان العداوة القديمة التى استمرت اجيالاً بين اهل  
الشرق والغرب بسبب اختلاف الدين كانت ولا تزال الى  
الآن سبباً فى ان جهل بعضهم أحوال بعض واساء كل  
منهم الظن بالآخر وأثرت فى عقولهم حتى جعلتها تصور  
الاشياء على غير حقيقتها . اذ لاشئ يبعد الانسان عن  
الحقيقة اكثر من ان يكون عند النظر اليها تحت سلطان  
شهوة من الشهوات . لانه ان كان مخلصاً فى بحشه محباً  
للووقوف على الحقيقة وهو ما يندر وجوده فلا بد ان  
شهوته تشوش عليه فى حكمه . وأدنى آثارها ان تزين له  
ما يوافقها وتستميله اليه . وان كان من الذين لا منزلة

التقدم في الامور المعنوية فهو مما لا يدرك الا بالعقل فلا  
 يقف عليه كل انسان ويجد المكابر في غيبته عن الحس  
 مجالا للانكار . وقد يساعد المكابر في مكابرتة ما يراه او  
 يسمع به في البلاد الغربية من كثرة الملاحى ومسارح  
 الشهوات وغير ذلك من سبب العادات التى يتبرأ منها  
 الغربيون انفسهم ويتألمون لان انتشارها والعقلاء منهم  
 يسمعون في محوها أو تقليد لها ولكنهم يأسفون على ان  
 مساعيتهم تعجز عن الوصول الى ما يتمنون . فاغتنمنا فرصة  
 وجود هذه العيوب واقننا منها حجة لتأييد دعوانا  
 ومما آخذناه على الغربيين في آدابهم تكشف  
 نساءهم واختلاطهن بالرجال وتمتعهن بالحرية التامة  
 واحترام الرجال لهن . وكثير من اعد هذه العادات اسبابا  
 لفشو الفساد فيهم ويمتقدون ان جميع نساءهم لا يعرفن  
 العفة وكل الرجال مجردون عن الغيرة  
 ولما كانت غاية التمدن هى تهذيب النفس وتطهيرها  
 من الرذائل والابتعاد بها عن المنكرات والخبائث ونشر

فكلما التفتنا الى جهة من جهاتنا وجدنا اثرأ منها مشهوداً  
 نراها في البيت في ما أكلنا ومشربنا وملبسنا وجميع  
 ادوات المنزل واثائه . نراها في المدرسة مدة التعليم ثم  
 في المنظمات التي تدور عليها جميع اصول وفروع ادارتنا  
 وحكومتنا . نراها في الطرق على شكل عمارات فاخرة  
 وحوانيت كبيرة وبساتين منتظمة وشوارع نظيفة تسير  
 فيها العربات والآلات البخارية والكهربائية . وبالجملة  
 نرى في كل آن وفي كل مكان برهاناً مادياً لا يمكن معه  
 الا التسليم بأننا متأخرون عن الغربيين كثيرأ في المعارف  
 العلمية والصناعية

وكأننا نريد ان نمحو العار الذي يلحقنا من هذا  
 الاعتراف ونأخذ بثأرنا فلا نجد وسيلة لذلك الا ان ندعى  
 اننا أرقى منهم في الآداب وانهم ان سبقونا في الماديات  
 ومظاهرها فقد سبقناهم في الروحانيات وسرأثرها  
 وانما سهل علينا التمسك بهذه الدعوى لان التقدم  
 في الماديات مما يقع تحت الحس فلا يمكن انكاره اما

الى جمعها وانماها واستخدمها ولكنها فاسدة رديئة ضارة  
بالنسبة للاخلاق والآداب التي تلازمها في كل مكان  
وصلت اليه

فهم يعترفون للغربيين بانهم أرقى منّا في العلوم  
والفنون والصنائع. ويعترفون بأن معارفهم أوصلتهم الى  
توجيه اعمالهم في طريق تحصيل منافعهم باحسن الوسائل  
الموصلة الى السعادة في هذه الدنيا ولكنهم متى رأوا  
طرق معاملاتهم بعضهم مع بعض وخصوصاً كيفية  
معاملة رجالهم لذماتهم أو سمعوا بها تغير حكمهم عليهم  
تغيراً كلياً واعرضوا عن فهم ما هم فيه وصرحوا بأنهم  
احط منا في الآداب. هذا الاعتقاد يشبه ان يكون  
عاماً فينا كما يلاحظه من يقرأ الجرائد ومن يلتفت الى  
الاحاديث التي تدور بين الناس. وهو اعتقاد لا يصعب  
علينا بيان سببه

ذلك اننا ندعن بتقدم الغربيين علينا في العلوم  
والصنائع لاننا نرى آثارها محيطة بنا من جميع اطرافنا

الشيخ حمزة فتح الله المفتش بنظارة المعارف وقد قرأته  
من أوله الى آخره فوجدته يحتوي على كل شيء ولكنه  
لم يشتمل على شيء مما وضع الكتاب لاجله . ومن  
الغريب ان الذين لم يرق في نظرهم اعجابنا بالاوروبين  
اضطروا جميعهم بما فيهم الشيخ الازهرى أن يستشهدوا  
في الرد علينا بأراء بعض العلماء والكتاب الاوروبين  
نساء ورجالا

فان كان منهم من يقول اني قليل الاطلاع على ما  
كتبه المسلمون قصير الباع في علومهم فاننا لا أجادله في  
هذا وانما يسرنى ويملا قلبي بهجة ان أرى كتابا اسلاميا  
قديما أو جديداً يحتوي على حقوق المرأة وما يجب عليها  
من حيث هي امرأة وزوجة وأم وفرد من أمة . فان  
جاءني من يزعم قلة اطلاعي وقصر باعي بكتاب مثل  
هذا أثقلته حمداً وشكراً

سيقول أرباب الافكار عندنا انا نسلم بان المدنية  
الاوروبية صحيحة حسنة نافعة بالنسبة للعلوم التي توصلت



تربيتها ولغاتها وكتابتها ومبانيها وطرقها بل في كثير من  
العادات البسيطة كاللبس والتحية والاكل . اما من جهة  
العلوم والصنائع فلا يوجد اختلاف الا من حيث كونها  
تزيد أو تنقص في أمة عن أمة أخرى

من هذا يقين ان نتيجة التمدن هي سوق  
الانسانية في طريق واحدة وان التباين الذي يشاهد  
بين الامم المتوحشة أو التي لم تصل الى درجة معلومة من  
التمدن منشأه ان أولئك الامم لم تهتد الى وضع حالتها  
الاجتماعية على أصول علمية

هذا هو الذي جعلنا « نضرب الامثال بالاوروبيين »  
ونشير بتقليدهم وحملا على ان « نستلفت الانظار الى  
المرأة الاوروبية »

هذه مسألة تحديد حقوق المرأة وتربيتها قد  
اجتهدت كثيرا في ان اف على رأى علماء المسلمين فيها  
من المتقدمين أو المتأخرين فما وجدت شيئا وقد نهى  
أحد اصحابي الى كتاب الفقه في هذا الموضوع حضرة

إنشاء حال خاصة بنا تليق بزماننا ويمكن ان تستقيم بها  
مصالحنا . فهو صورة من صور الاتكال على الغير كأن  
كلامنا ينجح نفسه قائلها . اتركى الفكر والعمل  
والعناء واستريحى فليس في الامكان ان تأتى بابدع مما كان  
هذا هو الداء الذى يلزم ان نبادر الى علاجه .

وليس له من دواء الا اننا نربى اولادنا على ان يتعرفوا  
شؤون المدنية الغربية ويقفوا على اصولها وفروعها وآثارها  
اذا أتى هذا الحين وتزوجوا ان لا يكون بعيداً انجأت

الحقيقة امام اعيننا ساطعة سطوع الشمس وعرفنا قيمة  
التمدن الغربى وتيقنانه من المستحيل ان يتم اصلاح ما  
في احوالنا اذا لم يكن مؤسساً على العلوم العصرية الحديثة  
وان احوال الانسان مهما اختلفت وسواء كانت مادية  
أو أدبية خاضعة لسلطة العلم

لهذا نرى ان الامم المتقدمة على اختلافها في  
الجنس واللغة والوطن والدين متشابهة تشابها عظيماً في  
شكل حكومتها وادارتها ومحاكمها ونظام عائلتها وطرق

لا يليق استعمالها في عصرنا

ونحن لا نستغرب ان المدنية الاسلامية اخطأت  
في فهم طبيعة المرأة وتقدير شأنها فليس خطأها في ذلك  
اكبر من خطأها في كثير من الامور الاخرى

وغنى عن البيان اننا عند كلامنا على المدنية  
الاسلامية لم نقصد الحكم عليها من جهة الدين بل من  
جهة العلوم والفنون والصنائع والآداب والماديات التي  
يكون مجموعها الحالة الاجتماعية التي اختلفت بها. ذلك  
لان عامل الدين لم يكن وحده المؤثر في وجود تلك الحالة  
الاجتماعية فهو على ما به من قوة السلطان على الاخلاق  
لم ينتج الا اثرًا مناسبًا لدرجة عقول وآداب الامم التي  
سبقت

والذي أراه ان تمسكنا بالماضي الى هذا الحد هو  
من الاهواء التي يجب ان نهض جميعًا لمحاربتها لانه ميل  
يجرنا الى التمدن والتقهقر. ولا يوجد سبب في بقاء هذا  
الميل في نفوسنا الا شعورنا باننا ضماف عاجزين عن

معهودا لهم وهم لا يستطيعون ان يغيروا انفسهم فيكون  
 وهم الابناء وغرور الالباء كل منهما عون الاخر على استقباح  
 الحاضر وعبادة الماضي

ولو صح ما يزعمون لكان اكمل انسان هو اول من  
 وجد من نوعه ولا استمرار النقص عصر بعد عصر الى هذا  
 اليوم وليكانت نهاية الانسان ان يصير حيوانا عجم مع  
 انه من الثابت ان عصورا مضت على النوع الانساني  
 وهو في ادنى مراتب الانسانية ثم ارتقى بالتدرج الى  
 ان وصل الى هذه الدرجة العليا التي يحق له ان يفتخر بها  
 متى تقرر ان المدنية الاسلامية القديمة هي غير ما  
 هو راسخ في مخيلة الكتاب الذين وصفوها بما يحبون ان  
 تكون عليه لا بما كانت في الحقيقة عليه وثبت انها كانت  
 نافضة من وجوه كثيرة فسيان عندنا بعد ذلك ان  
 احتجاج المرأة كان من اصولها اولم يكن وسواء صح  
 ان النساء في ازمان خلافة بغداد والاندلس كن يحضرن  
 مجالس الرجال اولم يصح فقد صح ان الحجاب هو عادة

في ذلك انى حد ليس بعده الا الجنون او يتغزل في ولد  
او يهجو خصمه بمبارات الفحش والفاظ الوقاحة التي  
يستحى من تصورها فضلا عن التفوه بها . رأينا من  
مؤرخيهم من يزور في التاريخ ومن فقهاءهم من يخترع  
الاحاديث ويضعها لغايتها الذاتية

فاى زمن من الازمان السابقة كان منزهاً عن  
العيوب حتى يصح ان يقال انه «نموذج الكمال البشرى»  
الكمال البشرى لا يجب ان نبحث عنه في الماضى بل ان  
اراد الله ان يمن به على عباده فلا يكون الا في مستقبل  
بعيد جداً

من اغرب ما اعتاد عليه العقل الانسانى ان يظن  
ان العصر الذى هو فيه احط منزلة في الكمال من العصر  
الذى سبقه ومنشأً ذلك ان الابناء ينشأون على احترام  
آبائهم وتعظيم كل ما يصدر عنهم فالكمال عندهم ما  
وجدوا عليه آباءهم ويزيد ذلك تقريراً في نفوسهم ان  
ان الآباء يستهجنون دائماً ما صار اليه ابناءهم مما لم يكن

فكشفت لنا الغطاء عن اخلافهم ومعاملاتهم واطلعنا على  
شعرهم وامثالهم واغانيتهم فاوجدنا زماننا من الازمان خاليا  
من الآداب الفاسدة والاخلاق الرذيلة والطبائع الدنيئة  
رأينا الدولة العربية من بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم  
الى آخر أيامها ممزقة بالمنازعات الداخلية الناشئة عن  
التباغض والحقد وحب الذات حتى في الاوقات التي  
كانت فيها الدولة مشغولة باهم الحروب مع الامم الاخرى  
رأينا أحد اولاد علي رضى الله عنه تزوج باكثر من مائه  
امرأة حتى التجأ والده ان ينصح الناس بان لا يزوجه  
بناتهم . رأينا من الرجال من كان يعترض النساء في  
الطريق ويختلس النظر اليهن من خروق الحائط رأينا  
من أمراءهم واعاظهم من كان يشرب الخمر حتى لا يعي  
مايقول في مجالس تحضرها الجوارى وتطرب الحاضرين  
بنعمات الموسيقى . رأينا من شعرائهم من يستجدي  
العطايا ويمسك يده ملتصقا برزقه من فضلات الامراء  
والاغنياء ومنهم من يمدح نفسه ويثني عليها ويذهب

التي لم تغفل في جميع أدوارها عن أهمية العائلة وشأنها في  
الهيئة الاجتماعية فأى شيء من هذا يمكن ان يكون  
صالحاً لتحسين حالنا اليوم ؟

بقي علينا ان نلتفت الى التمدن الاسلامى من جهة  
الآداب . يعتقد اهل عصرنا ان المسلمين السابقين كانوا  
حائزين لجميع أنواع « الكمالات الاخلاقية الصحيحة »  
وهو اعتقاد غير صحيح او على الاقل مبالغ فيه

اما من جهة أصول الادب فالمعلوم ان المسلمين  
لم يأتوا للعالم باصول جديدة . فقد سبق المسلمين أمم  
كالهוד والنصارى والبوذيين والصينيين والمصريين  
وغيرهم وقد كانت تلك الامم تعرف تلك الاصول وضمنتها  
كتبها ونزلت على بعضها في وحي سماوى

وأما من جهة عمل المسلمين على مقتضى تلك  
الاصول الادبية فالتاريخ يشهد على ان كل عصر لا يخلو  
من الطيب والرديء والحسن والقبيح وقد وصلت الينا  
اخبار العرب . مدونة في الكتب التاريخية والادبية

فاذا كانت حالتهم السياسية هي كما ترى فما الذي  
يطلب منا ان نستعيده منها؟

كذلك اذا نظرنا الى حالتهم العائلية نجد انها مجردة  
عن كل نظام حيث كان الرجل يكتب في عقد زواجه  
بان يكون أمام شاهدين ويطلق زوجته بلا سبب أو  
باوهي الاسباب ويتزوج عدة نساء بدون مراعاة حدود  
الكتاب. كل ذلك كان واستمر الى الآن على ما هو  
مشهور ولم يفكر أحد من الحكام او الفقهاء في وضع  
نظام يمنع ضرر انحلال روابط العائلة. وأهل ما كان  
يلزمهم لرفع ذلك الخلل ان يقرّوا امثال ان ايقاع الطلاق  
وعقود الزواج والرجعة لا بد ان تكون امام مأمور شرعى  
حتى لا تبقى هذه الشؤون موضعا للريب ومحلا للشبهة  
ومشارا للنزاع والشقاق

ان هذه الفوضى من النظمات والقوانين التي  
وضعها الاوروبيون لتأكيد روابط الزوجية وعلاقات  
الاهلية. بل أين هي من القوانين اليونانية والرومانية



(١٢٨١)  
مصالح الامة وحريتها فقد كان لتلك الامم جمعيات نيابية  
ومجالس سياسية تشترك بها مع الحاكم في ادارة شؤونها  
واغرب من هذا ان امراء المسلمين وفقهاءهم لم  
يفكروا في وضع قانون يبين الاعمال التي وجدوا انها  
تستحق العقاب ويحدد العقوبات عليها بل تركوا حق  
التعذير الى الحاكم يتصرف فيه كيف يشاء . مع ان  
بيان الجرائم وعقابها هو من اوليات اصول العدالة  
ولست محتاجا ان اقول انهم ما كانوا يعرفون شيئا  
من العلوم السياسية والاجتماعية والاقتصادية فان هذه  
العلوم حديثة العهد . واذا اراد مكابر ان يتحقق من ذلك  
فما عليه الا ان يتصفح مقدمة ابن خلدون وهو الكتاب  
الفرد الذي وضع في الاصول الاجتماعية عند المسلمين  
يرى ان الاصول التي اعتمد عليها لا يخلو معظمها من الخطأ  
ويندهش على الخصوص عند ما يرى ان هذا الكتاب  
الذي وضع للبحث في المسائل الاجتماعية لم تذكر فيه  
كلمة واحدة في العائلة التي هي اساس كل هيئة اجتماعية

حسب ارادتهم فان كانوا صالحين رجعوا الى اصول  
 للعدالة بقدر الامكان وان كانوا غير ذلك خرجوا من  
 حدود العدالة وعاملوا الناس بالعسف ولم يكن في النظام  
 ما يردهم الى اصول الشريعة

ربما يقال ان هذا الخليفة كان يولى بعد ان يبايعه  
 افراد الامة وان هذا يدل على ان سلطة الخليفة مستمدة  
 من الشعب الذي هو صاحب الامر . ونحن لا ننكر هذا  
 ولكن هذه السلطة التي لا يتمتع بها الشعب الا بمض  
 دقائق هي سلطة لفظية : اما في الحقيقة فالخليفة هو  
 وحده صاحب الامر . فهو الذي يعلن الحرب ويعقد  
 الصلح ويقرر الضرائب ويضع الاحكام ويدير مصالح  
 الامة مستبداً برأيه ولا يرى من الواجب عليه ان يشرك  
 احداً في امره

ومن الغريب ان المسلمين في جميع ازمان تمدنهم لم  
 يبلغوا مبلغ الامة اليونانية ولم يتوصلوا الى ما وصلت اليه  
 الامة الرومانية من جهة وضع المنظمات اللازمة لحفظ

ولكن يهمننا مع ذلك ان لا نغش انفسنا بان نتخيل انهم  
وصلوا من التمدن الى غاية من الكمال ليس وراءها غاية  
نحن طلاب حقيقة اذا عثرنا عليها جاهرنا بها مهما تألم  
القراء من سماعها. لذلك نرى من الواجب علينا ان نقول  
انه يجب على كل مسلم ان يدرس التمدن الاسلامي ويقف  
على ظواهره وخفاياه لانه يحتوى على كثير من اصول  
حالتنا الحاضرة ويجب عليه ان يعجب به لانه عمل انتفعت  
به الانسانية وكمات به ما كان نافصاً منها في بعض ادوارها  
ولكن كثيراً من ظواهر هذا التمدن لا يمكن ان يدخل  
في نظام معيشتنا الاجتماعية الحالية

أما من جهة العلوم فالامر ظاهر لما سبق بيانه  
واما من جهة المنظمات السياسية فلأننا همادققنا  
البحث في التاريخ لا نجد عند أهل تلك المصور ما  
يستحق ان يسمى نظاماً فان شكل حكومتهم كان عبارة  
عن خليفة أو سلطان غير مقيد بحكم بواسطة موظفين  
غير مقيدين فكان الحاكم وعماله يجرون في اذارتهم على

قوانين الحياة ووظائف الدورة الدموية والتنفس والهضم  
وخصائص قوى الإدراك وكيف تتكون خلايا الجسم  
وكيف تعيش وكيف تبنى. وصححت وكملت أصول  
الكيمياء والطبيعة

من هذه الاكتشافات أخذ الكتاب والفلاسفة  
ما دعت إليه الحاجة ليعلموا الإنسان من أين أتى وإلى  
أين يذهب وما هو مستقبله ووضعوا أساس العلوم  
الادبية والاجتماعية والسياسية

بكشف هذه الحقائق شيده العلم بناءً متيناً لا يمكن  
لعاقل أن يفكر في أن يهدمه. ولهذا تغلب رجال العلم  
على رجال الدين في أوروبا بعد النزاع والجهاد وانتهى  
الحال بأن صار للعلم سلطة يعترف لها بها الناس كافة  
فإذا كان التمدن الإسلامي بدأ وانتهى قبل أن  
يكشف الغطاء عن أصول العلوم كما بيناه فكيف يمكن  
أن نعتقد أن هذا التمدن كان «نموذج الكمال البشري»  
يهمنا أن لا نبخس أسلافنا حقهم ولا ننقص من شأنهم

هذا النزاع الذي قام بين اهل الدين واهل العلم  
 ولا أقول بين الدين والعلم لم يكن خاصاً بالامم الاسلامية  
 بل وقع كذلك عند الامم الاوروبية . ولكن لما كانت  
 هذه الامم قد ورثت علوم اليونان والرومان والعرب  
 وكان وصول تلك العلوم اليها قرب تمام تكوينها لم تحتج  
 أوربا الى زمن طويل في اكتشاف الاصول الحقيقية  
 لتلك العلوم . وقد نالت منها في مائتي سنة ما لم ينله غيرها  
 في آلاف من السنين . وتوالت الاكتشافات العلمية  
 يجر بعضها بعضاً ويرشد بعضها الى بعض . فمنها اكتشاف  
 قوانين سير الكون وتحليل الضوء وسرعة سيره وكيفية  
 تكون الاصوات وسرعتها وشكل اهتزازاتها وعلمت  
 ماهية الحرارة وكيفية تكون الكرة الارضية وحقيقة  
 شكلها وتكون طبقات الارض وتقدم الاعصار عليها وعلى  
 سكانها وضرور التغييرات التي طرأت عليها والادوار  
 التي تقلبت فيها من وقت ان كانت ككرة نارية الى ان ظهر  
 فيها النوع الانساني بعد جميع الانواع الاخرى . ثم عرفت

وكانت اصوله ضرورياً من الظنون لا يؤيد اكثرها بشيء  
 من التجارب كانت قوة العلم ضعيفة بجانب قوة الدين  
 فتغلب الفقهاء على رجال العلم وروضوهم تحت مراقبتهم  
 وزجوا بانفسهم في المسائل العلمية وانتقدوها . وحيث  
 انهم لم يأتوا اليها من بابها ولم يجهدوا انفسهم في فهمها  
 أخذوا يؤولون الكتاب والاحاديث بتأويلات استنبطوا  
 منها ادلة على فساد المذاهب العلمية وحملوا الناس على ان  
 يسيثوا الظن بها وما زالوا يطعنون على رجال العلم ويرمونهم  
 بالزندقة والكفر حتى نفر الكل من دراسة العلم وهجره  
 وانتهى بهم الحال الى الاعتقاد بان العلوم جميعها باطلة الا  
 العلوم الدينية . بل غلوا في دينهم وشطوا في رأيهم حتى  
 قالوا في العلوم الدينية نفسها انها لا بد أن تقف عند حد  
 لا يجوز لأحد أن يتجاوزه . فقررنا ان ما وضعه بمض  
 الفقهاء هو الحق الابدى الذى لا يجوز لأحد ان يخالفه  
 وكانهم رأوا من قواعد الدين أن تسد أبواب فضل الله  
 على اهله اجمعين

ذلك بامتيازهم على من جاورهم من الامم في العلوم والصنائع وليكن كان بروح الوحدة التي بعثها الاسلام فيهم مع استعدادهم الفطرى للقتال . فلما اختلطوا بالمصريين والشاميين والفرس والصينيين والهنود وغيرهم وجدوا عندهم ولاء الامم كثير آمن العلوم والصنائع والفنون فاستفادوا منها ونقلوا معظمها الى السانهم وسمحوا الاولئك المغلوبين ان ياتوا في ترقيتها بما شاؤوا وظهرت عند ذلك نهضة علمية كما هو الشأن في الامم عقب كل انقلاب يجرى لغاية صالحة استمرت مدة اربعة قرون تقريبا على هذين الاساسين شيدت المدنية الاسلامية الاساس الذي كـون من القبائل العربية امة واحدة خاضعة لحاكم واحد ولشرع واحد . والاساس العلمى الذى ارتقت به عقول الامم الاسلامية وآدابها الى الحد الذى كان فى استطاعتها ان تصل اليه فى ذلك العهد

وليكن لما كان العلم فى تلك الاوقات فى اول نشأته

حالة لازمة للنفس آخذة بزمامها فهي مستغرقة فيها من ذاتها وانما الذي يحتاج للتشويق والتشجيع هو التخلص من ماض ضار واعتناق مستقبل نافع

اذا أمكننا ان نأخذ تلك الالهية كان من أهم ما يجب علينا ان نلتفت الى التمدن الاسلامي القديم ونرجع اليه . ولكن لا لننسخ منه صورة ونحتذى مثال ما كان فيه سواء بسواء بل لكي نزن ذلك التمدن بميزان العقل ونتدبر في أسباب ارتقاء الامة الاسلامية وأسباب انحطاطها ونستخلص من ذلك قاعدة يمكننا ان نقيم عليها بناء ننتفع به اليوم وفي ما يستقبل من الزمان

ظهر الدين الاسلامي في جزيرة العرب بين قوم كانوا يعيشون في حال البداوة أى في أدنى الحالات الاجتماعية فاوجد بينهم رابطة مائة واخضعهم الى رئيس واحد ووضع لهم شرعا نسخ ما كان عندهم من العادات المتبعة في ممالئهم من قديم الزمان . ولما امرهم بالجهاد أخذوا يحاربون الامم الاخرى واستولوا عليها ولم يكن



## الحشمة والتأدب في القول

يقول معترض : « انا نراك تريد ان تحسن حال  
« المرأة المصرية بحملها على تقليد المرأة الغربية فهلا »  
« أعرت تمدنا القديم الذي كان من أصوله احتجاب »  
« النساء نظرة وهل من نفوس كريمة يهزها ذكرى »  
« مجدها القديم فتلفت الى اصوله لفظة علمية ترى انه »  
« هو المجد الصحيح الذي يجب ان نشد له رواجل »  
« العزائم والذي سيتضح للعالم اجمع يوما ما انه هو »  
« نفس الكمال الذي يشهده الانسان ويلتمسه الوجدان »  
هذا الاعتراض ربما يلذ للقارىء سماعه لطاولة لفظه  
وربما ينجذب اليه لانه يحرك الميل الغريزي الموجود في  
كل انسان الى التعلق بانوار الآباء والاجداد . ولكن  
الاجدر بنا ان لانجمل للفظ تأثيراً فينا الى حديدها  
عن الحق . وعلينا ان نأخذها هبتنا لمقاومة سلطة العادات  
الموروثة اذا خشينا ان تسلبنا ارادتنا واختيارنا . والتعلق  
بالتقاليد الراسخة لا يحتاج الى التحريض والترغيب لانه

والحجاب مانع للمرأة من ورود هـ هذا المنبع النفيس  
 لان المرأة التي تعيش مسجونة في بيتها ولا تبصر العالم  
 الا من نوافذ الجدران او من بين استار العربية ولا تمشى  
 الا وهي كما قال الامير على القاضى ملتفة بكفن  
 لا يمكن ان تكون انسانا حيا شاعرا خيرا باحوال الناس  
 قادرا على ان يعيش بينهم

ولا يكفي لاجراج المرأة المصرية من هذه الحياة  
 الصناعية التي يشكو الكل منها ان تمكث بضع سنين  
 في المدرسة ثم تذفل منها الى بيت تحجب فيه بقية عمرها  
 بل يلزم ان تستمر في الاعتناء بجسمها وعقلها بعد المدرسة  
 ونشركها في حياتنا الطبيعية يلزم ان نضع يدينا في يديها  
 ونسير معها في الارض ونزيها عجائب الكون ولطائف  
 الصناعة ودقائق الفنون وآثار الزمن الغابر واختراعات  
 الزمن الحاضر يلزم ان تقاسمنا أفكارنا وآمالنا وافراحنا  
 وآلامنا ونحضر مجالسنا فتستفيد مما يعرض فيها من  
 الاخلاق والافكار والمباحث وتفيدنا بحملنا على رعاية

ان « الامم التي بلغت فيها همة الانسان منتهاها هي »  
 « ملجأ الحياة الادبية الصحيحة حيث تثبت الاخلاق  
 وتبقى المحامد وبيانه ان المؤثر الادبي انما يجعل المرء  
 قادراً على قهر النفس والتغلب على هواها . وليس  
 من درس يتعلم فيه الرجل قهر نفسه وقيادة زمامها  
 اشد فعلا من الحياة الملية التي يتعلم فيها ان لا اعتماد  
 الا على نفسه . وليس من مرب يأخذ بجماع القلوب  
 اكثر من تلك الحياة . فهي التي تقود المرء الى الحياة  
 الحقيقية . وهي المدرسة الطبيعية التي تريه كيف  
 يتحمل المتاعب والزاياب وهي الاسهل تناولا والاكثر  
 شيوعا وطلابا . تلك ضرورات اشد فعلا في النفوس  
 من وعظ الواعظين ونصح الحكماء والمرشدين  
 الذين يدخل كلامهم من احدى الاذنين ويخرج  
 من الاخرى . ذلك لان الاعمال تدعو الى العمل  
 اكثر من الافوال

فالتجارب هي اساس العلم والادب الحقيقي

وإنما تتولد بالتعرض للملاقاة الحوادث والتعود على مغالبتها  
والتغلب عليها

فزاولة الاعمال ومشاهدة الحوادث واختبار الامور  
ومخالطة الناس والاحتكاك بهم والتجارب كل هذه الاشياء  
هي منابع للعلم والآداب الصحيحة. بها ترتقى النفوس  
الكريمة حتى تبلغ اعلى الدرجات وامامها تنهزم النفوس  
الضعيفة وتسقط الى اسفل الدرجات

قال سبنسر في هذا المعنى عند كلامه على التربية

العقلية :

« لا فائدة من التربية التي تجعل الانسان مستودعا »

« لا افكار غيره لأن الكلمات التي توضع في الكتب »

« لا يمكن ان تنتج معاني الا على نسبة التجارب »

« المكتسبة »

وقال ادمون ديمولان عند كلامه على التربية

الادبية نقلا عن ترجمة صديقي احمد فتحي باشا زغلول :

« ان ترتيب الحوادث وسير الوجود يرشدنا الى »

تطبيقها والحد الذي يفصلها عن غيرها وتبين الاحوال التي  
تدخل فيها او تخرج عنها وجهات فهمها وضررها هذه  
التطبيقات هي الوسطة الوحيدة في فهم القواعد على  
حقيقتها فاذا انعدمت لا تكون هذه القواعد الا الفاظ  
وخيالات

لهذا لا يخطر على بال رجل عاقل ان يسلم نفسه  
الى طبيب يوم خروجه من المدرسة ولا يختار حماميا  
للدفاع عنه يوم نياله للشهادة وهو لم يتمرن على العمل زمنا  
كافيا

وكذلك الحال في الآداب والاخلاق اذ لاشيء  
على الانسان اسهل من ان يعلم مقدار الفائدة في ضبط  
شهواته وقهره نفسه ولكن لاشيء اصعب في العمل من  
ان يأتي ذلك بالفعل . لان قهر الانسان لهواه وجعله  
تحت سلطان العقل يستدعي قوة عظيمة في الارادة ولا  
توجد هذه القوة في الارادة باقامة الحوائل المادية بينه  
وبين النقائص ولا بمجرد حشو ذهنه بالقواعد الادبية

البحث فيه الا وثوقاً بصحة ما ذهبنا اليه

ولا نرى سبباً للاختلاف بيننا وبين مناظرينا الا

الاختلاف في فهم معنى التربية فهم يرون ان التربية هي

التعلم وذلك يتم على رأيهم بمكث الصغير في المدرسة سنين

محدودة تكون نهاية عمله فيها الحصول على الشهادة

الدراسية وانه متى نال هذه الورقة السميكة التي سماها

بعض ظرفاء الفرنسيين ( جلد حمار ) عد بالغاً في العلم

والادب حد النهائية . ونحن على خلاف ما رأوا واعتقدان

التربية لا تقوم بالمكث في المدرسة والحصول على الشهادة

وانما كل ما يستفيدة الصبي من ذلك في ايام التحصيل

الاولى هو الاستعداد لتكميل عقله وخلقه

ذلك لان الصبي في السنة الرابع عشرة او الخامس

عشرة من عمره لا يعرف من العلم الا نظريات عامة

ومسائل كلية يحفظها في جمل مختصرة ومهما كانت هذه

القضايا علمية او ادبية فلا قيمة لها الا بظهورها في العمل

وذلك يكون بالمشاهدات والتجارب التي تحدد دائرة

متى انتهت تربية البنات بأخذ ما يلزم من الوسائل  
 لتنمية قواها الجسمية وملكات العقلية تكون قد بلغت  
 سن الرابع عشرة او الخامس عشرة من عمرها فما الذي  
 ينبغي ان تكون عليه بعد ذلك؟ وكيف تعيش المحجب  
 في بيتها وتمنع عن مخالطة الرجال او تطلق لها الحرية في  
 ذلك؟ هذا هو موضوع البحث في المسئلة الثانية والثالثة  
 وسنتكلم عليهما معاً لما بينهما من الارتباط

رأى المنتقدون على تحرير المرأة اننا تطرفنا في مسئلة  
 الحجاب واننا اشرفنا برفعه تقليداً للمادات الغربية وزعموا  
 ان الحجاب لا يوجب انحطاط المرأة ولا يترتب عليه  
 ضرر لها ولذلك ذهبوا الى وجوب استبقائه والمحافظة  
 عليه وقالوا ان الذي حط بالمرأة عن منزلتها انما هو  
 عدم التربية فلو تربت تربية حسنة امكنها وهي في  
 الحجاب ان تقوم بواجباتها احسن قيام

على اننا بعد ان دققنا النظر في جميع ما قيل او  
 كتب في هذا الشأن لا نزال على رأينا ولم يزدنا تكرار

الفن ما هراً في فنه حاذقاً في صناعته كان صنعه اقرب  
للكمال وكانت النفس اكثر ميلاً اليه واشد اعجاباً به  
واعظم سروراً بالاحساس به  
ولفن الموسيقى مثل هذه المزايا فانها افصح لغة  
تعبر عما في ضمائرنا والذ ما يرد على مسامعنا ومن احسن  
ما وصفت به قول افلاطون .

« ان الموسيقى تبعث الحياة في الجماد ويسمو بها »  
« الفكر ويرتقي الخيال وتبث في النفس الفرح والسرور »  
« وترفعها عن الدنيا وتميل بها الى الجمال والكمال . »  
« فهي من عوامل الادب للانسان »

هذه هي التربية التي نود ان تكون للبنات وقد  
بينها اجمالاً لان المقام لا يسمح ببيانها تفصيلاً . هذه  
هي التربية الكاملة التي تيسر للمرأة الجمع بين واجباتها  
المختلفة المتعددة فتعدها لان تكون انساناً يكسب عيشه  
بنفسه وزوجة قادرة على ان تحصل لعائلتها اسباب الراحة  
والهناء وأماً صالحة لتربية اولادها



ولابد هنا من استلفات النظر الى وجوب الاعتناء  
 بتربية الذوق عند المرأة وتنمية الميل في نفسها الى الفنون  
 الجميلة . واني على يقين من ان اغاب القرآء لا يستحسنون  
 ان تتعلم البنات الموسيقى والرسم لان منهم من يرى ان  
 لا فائدة في الاشتغال بهذه الفنون ومنهم من يعدها من  
 الملاهي التي تنافي الحشمة والوقار . وقد ترتب على هذا  
 الوهم الفاسد انحطاط درجة هذه الفنون في بلادنا الى  
 حد يأسف عليه كل من عرف ما لها من الفائدة في  
 ترقية احوال الامم

فن التصوير والرسم له فائدة لا تقل عن فائدة العلم  
 لان العلم يعرفنا الحقيقة وهذا الفن يحببها اليانا لانه يبيدها  
 لنا على الشكل الاكمل الذي يتخيله صاحب الفن فيبعث  
 فينا بذلك الميل الى الكمال . والكمال شئ يدركه عقلنا  
 لكنه لا يقع تحت حواسنا فلا يمكننا ان نتصوره الا اذا  
 صار مجسما امامنا في شكل لطيف نحس به . ومتى رأيناه  
 في هذا الشكل تعلقت نفسنا بحبته . وكلما كان صاحب

ولو خصص نساءنا للمطالعة عشر الوقت الذي  
يقضينه اليوم في البطالة ولفو الكلام والخصام لارتقت  
بفضلهن الامة المصرية ارتقاء باهرآ

ولا تتحصل المرأة على المطلوب من هذه التربية  
العقلية بتعلمها القراءة والكتابة واللغات الاجنبية بل  
تحتاج ايضآ لتعلم اصول العلوم الطبيعية والاجتماعية  
والتاريخية لكي تعرف القوانين الصحيحة التي ترجع اليها  
حركات الكائنات وأحوال الانسان كما انها تحتاج لتعلم  
مبادئ قانون الصحة ووظائف الاعضاء حتى يمكنها ان  
تقوم بتربية اولادها

والمهم في هذه التربية هو تشويق عقل المرأة الى  
البحث عن الحقيقة وليس حشو ذهنها بالمواد. حتى اذا  
انتهت مدة تعليمها في المدارس استمر شوقها الى الحق  
فتتحرك دائماً وتعتبر به

وأضيف على ذلك انه ينبغي على البنت ان تتعلم  
صناعة الطعام وترتيب البيت

تدنست بها المرأة حطت من قدرها اكثر مما تحط من  
شأن الرجل لو تدنس بها وان الفضيلة تعلى من شأن  
المرأة ما لا تعليه من شأن الرجل

بقى علينا الكلام على القسم الاخير من التربية وهو  
التربية العقلية . هذه التربية هي عبارة عن تعلم العلوم  
والفنون والغاية التي ترمى اليها هي ان يعرف الانسان ما  
فى الكون من الموجودات وفيها نفسه حتى اذا عرف  
ذلك على حقيقته امكنه ان يوجه اعماله الى ما يعود عليه  
بالنفع ويتمتع بلذة المعرفة فيعيش سعيداً

والمرأة كالرجل على حد سواء فى الاحتياج الى  
الانتفاع بالعلم والتمتع بلذته ولا فرق بينها وبينه فى  
التشوق الى استطلاع عجائب الكون والوقوف على  
أسراره لتعلم مبادئها ومستقرها وغايتها

ومهما عظم اشتغال المرأة متزوجة او خالية ذات  
اولاد أم لا فانها تجد من الوقت ما تثقف فيه عقلها  
وتهدب نفسها

وكما تلزم العناية بصحة المرأة لوقايتها من الهلاك  
والامراض كذلك يلزم العناية بصحتها حرصاً على صحة  
اولادها ووقايتهم من العمل لان ما يمرض على مزاج  
الام وما يكون فيه من الاستعداد للمرض ينتقل بالوراثة  
الى الاولاد

وأما من جهة التربية الادبية فلأن الطبيعة قد  
اختارت المرأة ونادت بها الى المحافظة على آداب النوع  
فسلمتها زمام الاخلاق واثمنتها عليها . فهي التي تصنع  
النفوس وهي ساذجة لا شكل لها فتصوغها في اشكال  
الاخلاق وتنشر تلك الاخلاق بين اولادها فينقلونها الى  
من يتصل بهم فتصبح اخلاقاً للامة بعد ان كانت اخلاقاً  
للعائلة كما كانت اخلاقاً للعائلة بعد ان كانت اخلاقاً  
للأم . هذا يدلنا على المرأة الصالحة هي انفع لنوعها  
من الرجل الصالح والمرأة الفاسدة هي اضر عليه من  
الرجل الفاسد . ولعل هذا هو السبب في ما وقر في  
نفوس الناس في كل زمان من أن الرذيلة الواحدة اذا

صحتها وصارت عرضة للأمراض . ذلك لان النوايس الطبيعية تقضى بضرورة التوازن بين ما يكسبه الجسم وما يفقده بحيث لو اختلف هذا التوازن فسدت الصحة واختل نظامها . والأمراض التي تصيب الانسان بسبب اهماله استعمال قواه الجسمية ليست باقل عدداً ولا باخف ضرراً من الأمراض التي تصيب من ينفق قوته ولا يعوض بالتغذية ما فقد منها . ثم أن ما تقاسيه المرأة من الآلام والمشقات حين الولادة في مرة واحدة ربما يزيد على ما يعانيه الرجل من المتاعب طول حياته ولا يحتمله من النساء الأنويات المزاج صحیحات الاجسام كنساء القرى المتعودات على العمل البدني المتمتع بالهواء النقي . أما نساء المدن المحرومات من الحركة والتمتع بالشمس والهواء فلا قدرة لهن على احتمال هذه المشقات ولذلك فان اكثرهن يمشن عليلات بعد الولادة الاولى وكثيراً ما يهلكن فيها فقد بلغ عدد من يموت منهن في النفاس اكثر من ثلاثين في الالف

يناسبها تربية كترية الرجل او تخصص بتربية أخرى ؟  
 وهل يمكن تربيتها مع الحجاب او لا بد فيها من ابطاله  
 وهل يعمل فيها على قواعد تأخذ من العلوم الغربية  
 الحديثة او يرجع فيها الى اصول المدنية الاسلامية  
 القديمة ؟

هذه المسائل تدخل في باب التربية والحجاب وقد  
 دار البحث والجدال فيها في العام الماضي بين كثير من  
 الكتاب والآن تريد ان نبدي رأينا فيها على غاية من  
 الوضوح

ففي المسئلة الاولى - لا نجد من الصواب ان  
 تنقص تربية المرأة عن تربية الرجل  
 اما من جهة التربية الجسمية فلأن المرأة محتاجة  
 الى الصحة كالرجل فيجب ان تعود على الرياضة كما  
 تفعل النساء الغربيات التي تشارك اقاربهن الرجال في  
 اغلب الرياضات البدنية . ويلزم ان تعتمد على ذلك من  
 اول نشأتها وتستمر عليه من غير انقطاع والاضغفت

## التربية والحجاب

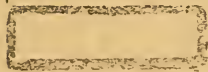
لولم يكن في الحجاب عيب الا انه مناف للحرية  
الانسانية وأنه صدار بالمرأة الى حيث يستحيل عليها ان  
تتمتع بالحقوق التي خولتها لها الشريعة الفراء والقوانين  
الوضعية جعلها في حكم القاصر لا تستطيع أن تباشر عملا  
ما بنفسها مع ان الشرع يعترف لها في تدبير شؤونها  
الماشية بكفاءة مساوية لكفاءة الرجل وجعلها سجيننة مع  
ان القانون يعتبر لها من الحرية ما يعتبره للرجل - لولم  
يكن في الحجاب الا هذا العيب الكفى وحده في مقته  
وفي ان ينفر منه كل طبع غرز فيه الميل الى احترام  
الحقوق والشعور بلذة الحرية . ولكن الضرر الاعظم  
للحجاب فوق جميع ما سبق هو انه يحول بين المرأة  
واستكمال تربيتها

اذا تقرر ان تربية المرأة من الضرورات التي لا  
يمكن ان يستغنى عنها فما هي التربية التي تناسبها ؟ هل

ثقة من ان جميع المطالب التي بطمع اليها نساء الغرب  
 في هذه الايام ليست من المسائل التي يعضل حلها ويدوم  
 القلق بسببها بل يقضى فيها المستقبل بحكم العقل والحق  
 ورب سائل يسأل الى مَ تنتهي هذه الادوار التي تنتقل  
 فيها النساء فالجواب ان ذلك سر مجهول ليس في طاقة  
 احد من الناس أن يعلمه . وكما اننا نجهد ماذا يكون  
 حال الرجل بعد مائتي سنة كذلك لا يمكننا ان نعرف  
 ماذا يكون حال المرأة بعد مرور هذه المدة . وانما نحن  
 على يقين من أمر واحد وهو ان الانسانية سائرة في  
 طريق الكمال . وليس علينا بعد ذلك الا ان نجد السير  
 فيه وناخذ نصيبتنا منه



ولكن المتأمل اذا روى في الامور يجد ان لسير  
الانسانية قوانين خاصة يجب مراعاة احكامها في نمو  
الحياة واستكمال قواها سواء في الافراد او في الاجتماع  
وان كل مخالفة لهذه القوانين لها اثر سئ وضرر عظيم  
يلحق الفرد او الهيئة الاجتماعية



اذا تقرر هذا فسلب المرأة حريتها هو اكبر مخالفة  
لقوانين نموها العقلي والادبي . فالتمويل على حرمان  
المرأة من حريتها في اتقاء ضرر سوء استعمال ذلك الحق  
ربما يفيد في منع بعض النساء من اتيان ما ينشأ عنه ذلك  
الضرر ولكن من المحقق انه بجانب هذه الفائدة الخاصة  
المؤقتة يجلب ضرراً عاماً مستمراً وهو تعطيل النمو في  
ملكات صنف النساء بتمامه

وبالجملة فاننا لانهاب ان نقول بوجود منح انسانا  
حقوقهن في حرية الفكر والعمل بعد تقوية عقولهن  
بالتربية حتى لو كان من المحقق ان يمررن في جميع  
الادوار التي قطعها وتقطعها النساء الغريات لاننا على

الامصار والاعصار مع عدم الخروج عن الاصول العامة  
التي قررها الكتاب والسنة الصحيحة وهي التي زينت  
للآباء عندنا ان يستعملوا في تربية اولادهم وسائل القسوة  
والغلظة وهي التي كانت تقضى على الاحكام عندنا من  
عهد ليس ببعيد بوضع تعريفه للبائعين يحددون فيها اثمان  
اللاحم والخضار والمسلى واغلب ما يباع ويشترى في  
الاسواق

ومنشأ ذلك كله الاهتمام بازالة المضار التي تظهر في  
بعض احوال البشر والغفلة عن المحافظة على منافعهم .  
وقد يكون من اسباب تلك الغفلة ان وجوه المنافع في  
احوال الناس وهي جهات حسناتها تخفى عادة على من  
ينظر اليها نظراً سطحياً أما وجوه الضرر فتظهر عادة  
للمعوم لانها تتشكل باشكال الجرائم والفظائع التي تنفر  
منها النفوس فاول ما تتجه اليه النفس النافرة هو ان  
تمحو هذا الاثر بأية طريقة . وأقرب الطرق واسهلها  
في بادئ الامر هو العنف والشدة

وانما يشكو بعض الكتاب الغربيين من سوء استعمال بعض النساء لحريةهن ومن طلبهن مساواة الرجال في حقوقهم السياسية

وحينئذ فلا استدلال بآراء هؤلاء الكتاب للرد علينا هو معالطة او خلط بين موضوع وموضوع. اذ كل انسان يميز بين تقرير الحق وبين استعماله

هذه حرية الصحافة هنا وفي بعض بلاد اوروبا قد ساء استعمالها الى حد ان صار كل انسان يتألم منها وليكن لم يفكر عاقل في ان يدعي ان الواجب هو الحجر على الافكار لان هذا الدواء يكون أمراً من الدواء الذي يرام معالجته

فلا سباب التي يبني عليها كتابنا رأيهم في الحجر على حرية النساء هي عين الاسباب التي انتحلتها الحكومات الشرقية لحرمان ابنائها من حرية القول والكتابة والعمل وهي التي اغرت متأخري المسلمين بقفل باب الاجتهاد في التوفيق بين احكام الدين وحاجات الامم على اختلاف

وبجميع حقوقهن هي التي تسير كاللدليل امام الامم  
 الاخرى وتهديها في سبيل الكمال في المدنية. ومن جهة  
 اخرى نرى ان جميع الامم التي حطت من شأن نساها  
 على غاية من الضعف وهي في ذلك على درجة واحدة  
 أو نسب متقاربة لا يظهر التفاوت بينها مع اختلاف  
 الاقاليم وتباين الشعوب والاديان  
 هذا هو المشاهد الواقع تحت انظارنا ولا يمكن

العاقل ان يجادل فيه

اما ما زعموه من ان الاوروبيين يتألمون من حال  
 نساهم أو يشتكون من بعض مطالبهن فذلك موضوع  
 آخر غير ما نحن فيه. ومسئلة النساء التي هي موضوع  
 بحثنا في بلادنا غير مسئلتهم في ما يكتبه بعض الكتاب  
 الغربيين. فاننا في هذه البلاد نطالب بمنح المرأة حريتها  
 الجسميه وانالتها حقوقها الشرعية وتهذيبها وتمكينها من  
 اداء وظائفها في البيت. وهذا الطلب لا ينازعنا فيه  
 غربي مهما انحطت درجته في العقل والاحساس

بتشديد الحجاب عليها ويحذرونهم من السير في طريق  
الكمال الذى اشرنا اليه بحجة انه تقليد للغريبين في  
عادتهم ويوهمون ان الغريبين انفسهم متألمون من حال  
نساءهم!

وقد بينا بالتفصيل الاسباب الاجتماعية التى يلزم  
لاجائها العناية بشأن المرأة وخراجها من الحجر الذى  
سقطت تحته ازمانا طويلة وبرهنا على انها هى صاحبة  
السلطة على الاخلاق والقابضة على زمام الآداب وانها  
هى التى تسوق الامم في طريق الخير والشر وانها لا  
يمكنها ان تحسن القيام بهذه الوظيفة الاجتماعية الا اذا  
كانت على جانب عظيم من العقل والعلم والادب

تقول هـذا مع اطلاعنا على ما كتب في شأن  
المرأة الغربية ومع علمنا بما هى عليه . ولا نرى مانعا من  
السير في تلك الطريق التى سبقتنا فيها الامم الغربية .  
لانا نشاهد ان الغريبين يظهر تقدمهم في المدنية يوما  
فيوما ونرى ان البلاد التى يتمتع فيها النساء بحريتهن

« اذ لا ترتقى امة ولا تسمو بمملكة الا بواسطة هذه »  
 « النقطة هي تربية البنات . اذ لم تتحققوا ايها السادة ان »  
 « النساء والرجال تؤمان عا. لان في الهيئة الاجتماعية »  
 « انهم اما ان يقوموا معاً واما ان يسقطوا معاً فلا سبيل »  
 « الى الرقي ولا وسيلة الى التقدم والنجاح ولا تقدر ان »  
 « تقول ان اساس امتنا موطن الدعائم ثابت البنيان »  
 « تذكروا ان الطفل هو والد الرجل وانه متى كانت »  
 « الامهات جاهلات لا يقدر على بث انوار المبادئ »  
 « الادبية والتهديبية في نفوس اولادهن ولا يرفين »  
 « عقولهن ولا يقوين ابدانهم بالوسائل الصحية فاننا »  
 « نبقى الى الابد في آخر صف من صفوف الامم »

فانظر الى ما يكتبه رجال من اهل الفقه والعلم  
 في الهند والى ما كتبه فقهاءنا وكتابنا حيث قالوا ان  
 المرأة لا شأن لها في ارتقاء الامم وانها لا يجب ان تتعلم  
 الا ما يلزمها من فرائض دينها للعبادة ويسوغ لها ان  
 تتعلم القراءة والكتابة وقاموا جميعهم ينصحون الناس

« ذلك من الروم واقتبسوا نظام الحرير في عهد الوليد »  
 « الاموي الثاني وأمر المتوكل - نبرون العرب - »  
 « بفصل النساء عن الرجال في الولائم والحفلات »  
 « العمومية . ولكن بقي النساء يختلطن بالرجال الى »  
 « اواخر المائة السادسة للهجرة وكن يقابلن الزوار »  
 « ويعقدن مجالس الانس ويمضين الى الحرب لابسات »  
 « الحديد ويساعدن اخوتهن وازواجهن في الدفاع »  
 « عن القلاع والمعامل »

« ولما ضمحل شأن الخلفاء في اواسط المائة السابعة »  
 « ومزق التتار شمل الدول العربية قام العلماء بتجادلون »  
 « في هل لا يبق بالنساء أن يظهرن ايديهن او اقدامهن »  
 « والقي الثاني خطبة في جمعية الاداب الاسلامية »  
 « بمدارس في الهند ترجمت في جريدة المؤيد الصادر في »  
 « ١٤ يوليو سنة ١٩٠٠ نقتطف منها ما يأتي . »

« ولدينا نقطة أخرى عظيمة الأهمية لا ارى »  
 « مندوحة من الكلام فيها والبحث فيما يتعلق بشأنها »

- « كانت شمس المعارف في المشرق فانتقلت الى »
- « المغرب فنه يجب ان نستمد النور وكل من يسمى في »
- « اعلاء شأن نساء ناله عندنا شكر ولكن لا يغير الله »
- « ما يقوم حتى يغيروا ما بانفسهم »
- « ولا بد ان يسأل سائل هل كان نساء الخلفاء »
- « وغيرهن من النساء يبرزن ملتفات بالاكفان كالنساء »
- « الشرقيات في مدن الشرق الآن . ويظهر لي انهن »
- « لم يكن يلبسن غير النقاب يسترن به وجوههن كما »
- « تستر نساء الاستانة الان باليشمك فيخفي غصون »
- « الشيخوخة ويظهر جمال الصبا اما البرقع الشامل »
- « للوشاح والنقاب والخمار فلم يشع الا في اواخر عهد »
- « السلاجقة واما الاحتجاب بالبرده على ما هو شائع »
- « الان عند مسلمي الهند وغيرها من البلدان فلم يكن »
- « معروفا في تلك العصور والنساء من الطبقات العليا »
- « كن يظهرن امام الرجال غير متبرعات »
- « واستخدم العرب الحصيان في عهد معاوية آخذين »



« ما من مقياس يقاس به ارتقاء الامم مثل منزلة »  
 « المرأة فيها فاذا اراد مسلمو الهند ان يرتقوا ووجب »  
 « عليهم ان يعيدوا للمرأة المنزلة الرفيعة التي كانت فيها »  
 « في صدر الاسلام »

« وكذا من تاريخ روسيا الحديث دليل علي »  
 « ارتباط تقدم الامم المادى والمعنوى بمقام المرأة فيها »  
 « فقد بقيت نساء الاشراف في روسيا متحجبات الى »  
 « بداية القرن الثامن عشر يعشن في بيوت بل في »  
 « سجون لا يدخلها النور ولا الهواء أسدلت الستار »  
 « على كواها واحكمت الاقفال على ابوابها ووضعت »  
 « مفاتيحها في جيوب الآباء والازواج. واذا اريد نقلهن »  
 « من مكان الى آخر نقلن في محففات متحجبات »  
 « متبرعات كما تنقل النساء في بلاد الهند. فلما فككت »  
 « قيود النساء وجارين الرجال في العلم والتهذيب وصرن »  
 « من دعائم الهيئة الاجتماعية صارت بلاد الروس من »  
 « اعظم ممالك الارض »

اما التربية العقلية فمنبعها المكاتب والمدارس واما التربية  
الروحية فلا نكتسب الا في العائلة. ولا يمكن اكتسابها  
في العائلة الا اذا كانت الام في اول من يديرها ولا يمكن  
ان تديرها الام الا اذا كانت على جانب عظيم من الرقي  
العقلي والادبي لهذا قلنا ان المصريين اذا ارادوا ان يرتقوا  
وجب عليهم ان يعملوا الارتقاء بشأن المرأة المصرية

ومما يوجب الاسف ان المصريين لم يفهموا الى

الآن هذه الحقيقة تمام الفهم في حين ان رجلا من  
مسلمى الهند قد صعدوا بفكرهم وتوصلوا بابحاثهم الى  
ادراك شأن المرأة في الهيئة الاجتماعية وأحاطوا بالوظيفة  
من الاهمية . وقد قام رجلان من اعظامهم احدهما  
الامير على القاضى والثانى عناية حسين

فذكر الاول مقالة جلية موضوعها النساء في الاسلام

ترجمت في مجلة المتطف في عديها الصادرين في شهر  
يونيه ويوليه سنة ١٨٩٩ ونقتطف منها من غير ترتيب

ما ياتى :

يقبل المسافر ودموع الفرح تسيل على خدوده  
 واغلب الرجال كانوا يرتصون ويغنون ويلقون بقبماتهم  
 في الطريق

بمثل هذه المناظر وما يدور فيها وغناها من الاحاديث  
 امام الاطفال ينغرس الشعور الوطني في نفوسهم ويزهرو  
 ويشمر . وهكذا الحال في تربية الفضائل الاخرى

فالمحطاط المصري انما هو ناشيء من حرمانه من  
 هذه الرتبة الاولى . ينمو الطفل بيننا كما ينمو النبات ولا  
 يهتم أحد من اهله الا باعطائه التغذية والملبس . فهم  
 يعتنون به كما يعتنى اى انسان بحيوان يحبه . فكل بناء  
 يتم بعد ذلك على هذا الاساس هو بناء على الرمل لا  
 يلبث ان ينهار مهدوماً

وبالجملة ان التربية تنقسم الى قسمين تربية العقل  
 وهى التى توجه مدارك الانسان الى اكتشاف حقائق  
 العالم وتربية الروح وهى التى توجه ارادته الى الخير وتميل  
 باحساسه الى الجميل . وكلتاها لازمتان لسعادة الانسان

بالشعور من النفس ولا يضمنه بل يزيد الشعور ويقويه  
 ويدلم الصبر ويشد العزائم  
 وانما السبب الحقيقي لفقد الشعور الى هذا الحد هو  
 اهمال تربية العواطف عندنا في زمن الطفولية وتبع ذلك  
 ان اعصابنا أصبحت لا تتأثر الا بالاحساسات المادية التي  
 تقع عليها مباشرة وصارت غير قابلة للتأثر بالمعاني النفيسة  
 رأيت مدت وجودي في فرانس اطفالا عمر د عشر  
 سنين كان يتفرج بجاني على فرقة من الحساكر الفرنسية  
 وهي عائدة من حرب التونكين . فلما در امامه حامل  
 العلم وقف هذا الغلام باحترام ورفع قبعته وحيي الغلم  
 وصار يتابعه بنظراته حتى غاب عنه . فاحسست ان  
 الوطن تجسم لهذا الطفل في العلم الذي مر امامه وأثار  
 فيه جميع الاحساسات التي بعثها فيه ما تربي عليه من حبه  
 حتى خلته رجلا كاملا . أما الرجال والنساء الذين كانوا  
 يشهدون هذا المنظر فقد وصلت بهم قوة الشعور الى انهم  
 صاروا يعملون اعمال الاطفال فكان الكثير من النساء

« حياتى التى مررت بها على التل الكبير والقصاصين »  
 « والمحسمة ونقيشة هذه المواقع التى اتخذت خطوطاً »  
 « للدفاع ضد الجيش الانكليزى فى سنة ١٨٨٢ والشأن »  
 « ان المرور على مثل هذه البقاع للمرة الاولى يحرك »  
 « لوعة الاسف وذكرى ضياع مجد البلاد واستقلالها »  
 « ومع ذلك لم اجد الماء او اضطراباً »

هذاما كتبه احد رجال المصريين المشهورين بالكاء  
 ومحبة الوطن . واذا اردنا أن نصدق فى القول مثله يجب  
 علينا ان نترف اننا اذا مررنا نحن أيضاً على هذه البقاع  
 وشاهدناها فلا تتحرك نفوسنا اكثر مما تحركت نفسه  
 ولا تشعر باكثر مما شعر

ومن البديهي أن هذا الجود كما سماه صاحب هذه  
 المقالة ليس منشأه ان ابراهيم بك الهلباوى رجل جاهل  
 او لا يعرف ان محبة الوطن واجبة . وليس سبب هذا  
 الجود ما توهمه حضرته من ان قلوبنا صلبت لكثرة  
 ما لحقنا من المصائب لان توالى المصائب لا يذهب

« وسفك دماء مسلمي هذه الجزيرة وما نالهم من »  
 « النذل والمظالم ثم مصادرة من بقي منهم في اموالهم »  
 « وثمرات افعالهم كمسلم حقيقي يألم بمصائب اخيه فلم تجده »  
 « نفسى في جسمى دماً يتأثر ولا بقلبي محلاً للاسف »  
 « أو الرحمة »

« ولما تسألت مع وجداني عن سبب هذا الجمود »  
 « وعدم المبالاة بما دهمنا من النوائب والمصائب قلت »  
 « لعل ذلك لكثرة ما لحقنا منها حتى تدمم القلب »  
 « واوشك أن يقال عنه تكسرت النصال على النصال »  
 « وقد بدد النفسى جواب آخر على عدم الاكترات »  
 « بما اصاب مسلمي كريد لم يبعد عنى اختلاج النفس »  
 « بالاسف على مصابهم فقط بل اوشك أن يخجلاني »  
 « حيث مر بخاطري حسبان ذلك المصاب . ذلك انى »  
 « قبل الهجى الى الاسماعيلية كان آخر سفرى على خط »  
 « السويس من جهة القاهرة محطة الزقازيق ثم اتجه »  
 « القطار بنا نحو الاسماعيلية . وهى المرة الاولى فى »

اهل الدين الذين وقفوا حياتهم على خدمته أقل الناس  
شعوراً بالاحساس الدينى الحقيقى. وترانا جميعاً منصرفون  
عن كل شىء ونحن نطلب كل شىء

بينما كنت اكتب هذه السطور اطاعت فى جريدة  
المؤيد على رسالة لحضرة القاضل ابراهيم بك الملباوى  
حررها وهو على ظهر المركب التى سافر فيها فى هذا العام  
الى اووبا وقد اعجبني من هذه الرسالة المفيدة أمرأخصه  
بالذكر وهو توخى كاتبها الصدق فى القول والذى دعانى  
للكلام اياها هنا هو ان حضرة ابراهيم بك الملباوى  
شرح لنا ما كان يجده من نفسه ويتردد فى صدره عند  
ما مر على جزيرة كريد فقال :

« هذه أول مرة انكشفت فيها العيني هذه الجزيرة »  
« بعد انسلاخها من حكم الدولة واعطاء اوربا اياها »  
« هدية لثانى انجال ملك اليونان . وقد حاولت حال »  
« المرور بها ان اتذكر بحسرة وجزع الحوادث التى »  
« سبقت أو اقترنت أو نتجت عن هذا التغيير من قتل »

( ١٣٦ )

نفسه الاخلاق الجميلة وتنفت فيها روح العواطف الكريمة .  
واشد من هذا كله اثرآ في نفسه ظهورها في عينيه  
متحلية بهذه الصفات فيقلدها من غير فكر ثم يعتاد على  
ذلك شيئاً فشيئاً حتى تصير هذه الصفات حاجات لنفسه  
لا يمكن أن تنساخ عنها

ولا يكون لنفسه شيء من ذلك اذا قضى زمن  
صباه ولم ترد عليه صورة من هذه الصور ولم ينطمع في  
روحه مثال من هذه الامثلة . فلو ادر كم ابعث ذلك بالتعليم  
كانت محفوظات في ذهنه لا ينفذ منها شيء الى باطن  
نفسه . فلا يحدث له منها شعور صحيح بكون داعية للعمل  
وحياناً عليه

من هذا ترى شعراءنا ينمقون القوافي في وصف  
ما يكابد العاشق من مرارة العشق وآآله وهم لا يعشقون .  
وخطبائنا يلقون على اسماع غيرهم احسن المقالات في حب  
الوطن والحث على القيام بالواجبات الوطنية ولا يأتي قائل  
منهم بشيء يبرهن به على انه شاعر بما يقول وتري ان



ودخلوا في ميدان الحياة العمومية انتظرنا منهم ان يكونوا  
بيننا رجالا ذوى احساس شريف وعواطف كريمة  
واخلاق حسنة وهمم عالية رجالا يشعرون ويعملون  
ورجونا منهم ان نجنى ثمار هذا التعليم الذى بذل فى  
سبيله النفيس من الوقت والمال . ولكن والسفاه نرى  
آمالنا فيهم خائبة . نرى لهؤلاء الشبان المتعلمين قلوبا  
يابسة وهما صغيرة وعزائم ضئيلة . أما العواطف فهي  
بالتقريب فيهم معدومة . فلا يروق لأعينهم منظر جميل  
كما لا ينفروهم مشهد قبيح ولا يعطفهم حنو ولا تبكيهم  
مرحمة ولا يحترمون كبيراً ولا يستصغرون صغيراً ولا  
تحر كمهم منعمة الى عمل مهما عظم نفعه

وليس لذلك من سبب سوى أن التربية لم تتناول  
وجدانهم فى أول السن . هذا الوجدان الذى هو المحرك  
الوحيد للعمل لا يظهر ولا يقويه ولا ينميه الا التربية  
البيئية . ولا عامل لها فى البيت الا الأم . فهي التى  
تلقن ولدها احترام الدين والوطن والفضائل وتغرس فى

وفيه تخرج هذه الصفات من حالة الكمون الى الظهور  
في العمل

فان اهمل الاعداد في الدور الاول استحال صمود  
الشخص في درجات الارتقاء . ومهما حفظ بعد ذلك  
من العلوم في المدارس ومهما كانت التعاليم الادبية او  
الدينية التي تلقى عليه فهو يميل كالطائر الذي قص  
جناحه كلما هم ان يطير سقط . ومتى تحقق بالتجربة  
من عجزه استسلم الى حظّه ورضى به وانتهى الحال الى  
ان يفضله على كل شيء سواه

ذلك لان التعليم سواء كان دينياً او علمياً لا يمكن  
ان يكون له اثر نافع الا اذا وجد من النفس عوناً على  
النجاح كما ان البذرة مهما كانت جيدة لا تنبت الا في  
الارض الصالحة لنموها

يقضى اولادنا الآن اوقاتهم في تعلم القراءة والكتابة  
واللغات الاجنبية ومطالعة العلوم سنين ثم ينتقلون الى  
علوم اخرى اعلا وارفع من تلك فاذا انتهت مدة الدراسة

فانحطاط المسلم كمانحطاط الهندي والصيني وجميع سكان  
الشرق ما عدا اليابان ناشئ من حالة العائلة في هذه  
الجمعات

وذلك ان العائلة هي اول شئ يقع تحت حواس  
الانسان في اول نشأته وهي الشئ الثابت المستقر الذي  
يراه دائما . فاذا رأى الطفل فيها مثال الترتيب والعمل  
ورفعة النفس ورقة المواطف تعلقت نفسه بهذه الخلال  
وبهذا التعلق يخطو الخطوة الاولى في سبيل ارتقائه حتى  
اذا صار رجلا وجد من حاله الشخصى ما يساعده على  
هذا الارتقاء

فالارتقاء حينئذ له دوران الاول دور اعدادى  
يقطعه الانسان في مدة طفوليته وصباه وفيه ترسم في  
نفس الطفل صفات الترتيب والتنظيم وينشأ فيه الميل  
الى الفعال الجميلة وتتوجه نفسه الى حب الكمال وتتعود  
فيه آلات الجسم على النشاط والحركة . والثانى دور  
عملى يقطعه الانسان في سن الرجولية الى آخر العمر

الاسلامى فهو خطأ محض . من ذا الذى يقول ان الدين  
الاسلامى الذى يخاطب العقل ويحث على العمل والسعى  
يكون هو المانع من ترقى المسلمين وقد برهن المسلمون  
ان دينهم عامل من اقوى العوامل للترقى فى المدنية ولا  
يجوز بمد سطوع هذا البرهان التاريخى ان يرتاب احد  
فى هذه المسئلة . نعم ان الدين الاسلامى الصحيح قد  
تحول اليوم عن اصوله واستتر تحت حجب من البدع  
ووقف نموه وانقطع ارتقاؤه من عدة قرون وظهر لهذا  
الانحطاط الدينى اثر عظيم فى احوال المسلمين ولكن  
هذا الانحطاط الذى ينسب اليه بعض الكتاب الغربيين  
تاخر المسلمين فى المدنية يحتاج نفسه الى سبب يرد  
هو اليه فهو سبب ثانوى لا اولى

وعلى هذا فليس ما نراه فى احوال المسلمين ناشئاً  
عن السببين المذكورين فان أحدهما لا تأثير له بالمرّة والثانى  
يعد من الاسباب الثانوية . بقى عندنا السبب الثالث فهو  
الذى ينبغى ان تنسب اليه هذه الحال التى نشكو منها

وجودها وهيئتها رغمًا عما طرأ عليها من التقلبات والمظالم  
والمصائب التي توالت عليها . وهذا يدل على انها وهبت  
في طبيعتها حياة قوية وانها مستعدة للمقاومة في الزاحمة  
مع الامة الاخرى . فاذا كان الاقليم لم يعق الامة المصرية  
عن اتيانها باعظم الاعمال ولا عن تأسيس الشرائع وابتكار  
العلوم والفنون فلماذا يصير ما نراها من الترقى في هذه  
الايام التي قد تلطفت فيها بالازيب درجة حرارة الاقليم؟  
على انه لم يثبت بادلة صحيحة يسندها العلم ان الحرارة  
تأثر في الجسم والعقل تأثيراً سيئاً . وغاية ما ينشأ عن  
اختلاف الاقليم تفاوت في الامزجة والاخلاق بين الامة  
فمن المشاهد ان سكان الشرق يمتازون بالذكاء وسرعة  
الفهم وقوة الذاكرة وهذه الصفات النفيسة تعوضهم ما  
قد ينقصهم من الجلد والمثابرة في العمل  
وفي الشرق اقاليم باردة وسكانها ليسوا اقل انحطاطاً  
في المدنية من سكان الاقاليم الحارة  
واما نسبة تأخر المسلمين في المدنية الى الدين

لا خلاف في ان الامم الاسلامية في حالة ضعف شديد تستدعي المبادرة الى علاجها. فيتمين علينا ان اشخص هذا الداء بمعرفة اسبابه اولا ثم نبحث عن دواءه كما يفعل كل طبيب يهتم بعلاج مريض. فما هي اسباب الداء؟

اسبابه تنحصر اما في الاقليم او في الدين او في العائلة اما الاقليم فلا يصح ان يكون سبب الداء. لانه من المعلوم ان الامة المصرية من اقدم الامم ويعترف لها المؤرخون بالسبق في ابتكار كثير من العلوم والصنائع التي انتقلت منها الى اليونان ثم الى الرومان ثم الى العرب ثم الى اوروبا. وظهر فيها اول دين كبير في العالم وتمتعت مدة قرون بمدينة مشهورة لا تزال آثارها مشهودة الى الان وستبقى خالدة في ما لا يزال. وحكمت نفسها ودبرت أمورها مدة اجيال بل اتى عليها زمن تغلبت فيه على ما جاورها وبعدها من الامم العظيمة وقهرتها واخضعتها لحكمها. ثم بعد فقد استقلالها حافظت على

في ما اقول اذالم تبلغ رقة الاحساس عندنا الى حد  
يرتبط الرجال فيه مع النساء على نحو ما ذكرنا واستمر  
الرجال على افعال النساء وتركهن في هذه الحالة الساقطة  
التي يتألم الكل من آثارها وهم لا يشعرون ولم يبادروا  
باعداد المرأة بالتربية الى ان تكون رفيقة مساوية للرجل  
وعشيرة عارفة بادارة بيتها وصديقة تفدى زوجها باعز ما  
لديها وأما محيطه بما يجب عليها لاولادها عارفة بطرق  
تربيتهم فكل ما فعلناه الى الآن وكل ما فعله في المستقبل  
اترقية شأن أمتنا يضيع هباء منثوراً

هذا هو الحق الذي انتهينا اليه عند بحثنا عن  
اسباب تاخر الامم الشرقية عموماً والاسلامية خصوصاً  
هذا الرأي الذي عرضناه على القراء اولاً نعرضه  
عليهم الآن مرة ثانية . وكل ما نرجوه منهم هو ان  
« لا يضربوا به عرض الحائط » كما اشار عليهم كثير من  
اصحاب الافكار والكتاب الذين طعن اغلبهم في كتاب  
تحرير المرأة قبل ان يقرأه

كثيراً من الاعمال لمصلحة الرجال وسعادتهم . وای  
 مصلحة للرجل اعظم من ان يعيش وبجانبه رفيقة تلازمه  
 في الليل والنهار في الاقامة والسفر في الصحة والمرض في  
 السرآء والضرآء رفيقة ذات عقل وادب عارفة بحاجات  
 الحياة كلها تهتم بكل شئ يمس بمصلحة زوجها ومستقبل  
 اولادها تدبر ثروته وتحافظ على صحته وتدافع عن شرفه  
 وتزوج اعماله وتذكره بواجباته وتنبيهه الى حقوقه وتعرف  
 انها باجتهادها تجهد في منفعتها كما تجهد في منفعة زوجها  
 واولادها؟

وهل يسعد رجل لا يكون بجانبه امرأة يهبها حياته  
 وتشخص الكمال بصداقتها امام عينيه فيعجب بها ويثني  
 رضاها ويتوسل اليها بفاضل الاعمال ويدنو منها بمقائل  
 الصفات ومكارم الاخلاق . صديقة تزين بيته وتبهج  
 قلبه وتملأ اوقاته وتذيب همومه؟

هذه الحياة التي لا يشعر الرجال عندنا بشئ منها  
 هي من اعظم ينابيع الاعمال العظيمة . واقول ولا اتردد



« في هذا الكتاب حصة من العمل لا تنقص عن »  
 « حصتي فيه. واكبر اسفي ان هذا الكتاب طبع بالحالة »  
 « التي هو عليها الآن قبل ان تعيد النظر فيه ولو كان »  
 « في استطاعة قلمي ان يعبر عن نصف ما دفن معها »  
 « من الافكار العالية والوجدان السامي لا انتفع العالم به »  
 « اكثر مما ينتفع بجميع ما اكتبه صادرا عن فكري »  
 « ووجداني بدون مشورة عقلها الفريد »

وكانت زوجة باستور الشهير مشار كته في جميع  
 مباحثه العلمية وبنيت لمبروزو تشتغل الى الآن مع والدها  
 ومن هذا القبيل ان لمارك الشير فتقد بصره فلم يجده  
 معينا على معيشته لا بنته فكانت تلتق دروسا بالاجرة وتمتد  
 والدها بما تكسب من دروسها تم انها كانت تحثه على  
 اتمام بحثه العلمي وتكتب ما عليه عليها حتى صار مجموعتها  
 من اشهر علماء التاريخ الطبيعى

هذه الامثلة وغيرها مما يطول شرحه تدلنا على ان  
 المرأة المهذبة يمكنها فضلا عن تربية اولادها ان تعمل

وليس تأثير المرأة في العائلة قاصر على تربية الاطفال بل المشاهد بالعيان ان المرأة تأثر على جميع من يعيش حولها من الرجال . فكم من امرأة سهلت على زوجها وسائل النجاح في عمله وأعدت له اسباب الراحة والاطمأنان ليتفرغ لاشغاله وكم من امرأة شاركت زوجها او اخاها او والدها في متاعبه . وكم من امرأة طببت قلب الرجل وقوت عزيمته في حالة اليأس والقنوط وكم رجل طلب المجد ومعالى الامور طمعاً في ارضاء محبوبته فبلغ الغاية مما طلب

وضع استوارت ميل في صدر كتابه المسعى الحرية الذى طبعه بعد وفاة زوجته العبارة الآتية :

« انى اهدى هذا الكتاب الى الروح التى الهمتني »  
 « احسن ما وضعت فيه من الافكار الى صديقتى وزوجتى »  
 « التى كان غرامها بالحق والمدل اعظم ناصر لى والتى »  
 « كان استحسانها من اكبر المكافئات التى ارجو نيلها »  
 « على عملى . كان لها فى جميع ما كتبته الى الآن ولها »

فاضل في امة يعد من الحوادث التي يشترك في احداثها  
سببان . الاول استعداده بالوراثة لما ظهر فيه والثاني  
تربيته التي ساعدت على نمو هذا الاستعداد فيه . بحيث  
لو فقد احد هذين السببين امتنع احتمال وجود هذا  
الرجل العالم او الفاضل . من هذا يتبين ان شخصية  
الانسان الادبية تتكون من عاملين عامل طبيعي وعامل  
صناعي . وليس في استطاعتنا ان نأثر في الاول ولنا على  
الثاني سلطة واسعة حيث انه يمكننا بالتربية الاولى ان ننمي  
غريزة الطفل ان كانت غريزته صالحة ونكملها ونزيدها  
حسناً . وبممكننا ان نضعف من أثرها ان كانت بضد  
ذلك . نعم ان لهذه السلطة الثانية حداً تنتهي اليه ولكن  
سعة دائرتها تمكننا من الانتفاع بها انتفاعاً عظيماً اذا عرفنا  
كيف نتصرف فيها واهتدينا الى طرق التربية الصحيحة  
فهذه التربية الاولى — وزمامها في يد المرأة —  
هي التي اكسبتها ذلك المقام الرفيع الذي لا يعلوه مقام في  
الهيئة الاجتماعية

وكل اهل العلم يعلمون ان المريكيزة دوشاتليه هي  
التي نشرت مذهب نوتون في فرانسوا وكلمنس رويه هي  
التي نشرت مذهب داروين وما دام استيل هي اول من  
عرف المانيا لاوروبا وكذلك ما دام تارنوسكي هي التي  
نشرت مذهب لبروزر في البلاد الروسية

اما عدد الفلاسفة والادباء من النساء اللاتي نشأن  
في هذا القرن والقرن الذي سبق لا يمكن حصره في  
مثل هذا الكتاب ولكني لا أرى بداً من ذكر اثنتين  
من بينهما لم يسبقن رجل في فن الكتابة وهما ما دام  
لافايت وجورج سند

على ان الارتباط الذي ادعيناه بين تقدم الامم  
وارتقاء حال النساء لم نقصد به ان المرأة تفيد الامة مباشرة  
باختراعها العلمية ومذاهبها الفلسفية وانما نبي به خاصة  
ما لها من العمل في اصلاح اخلاق العائلة ثم الامة على  
الوجه الذي بيناه

وبعبارة أخرى نقول ان ظهور رجل عالم او حكيم

اعلا مراتب الكمال الانساني

واني استأنفت العالم الازهرى خصوصاً الى سلف  
أمته الصالح ليعلم ان تاريخ دينه لم يخلو من ذكر النساء  
اللاتى كان لهنّ اجمل الأثر فيه

على ان الامر لا يحتاج تحقيقه الى التاريخ فقد  
وجد في القرن الذى نحن فيه كثير من النساء اللاتى  
ارتفع شأنهنّ وذاع ذكرهن في جميع الممالك المتعدنة  
هذه مارية متشل اكتشفت نجماً ذاذب سمي

باسمها وعينت مديرة لرصدخانه في اميرىكا ومعلمة لعلم  
الفلك ولها مؤلفات كثيرة في هذا العلم

وكارواين هرشل اكتشفت سبعة نجوم فنجها

مجمع علمى لوندرا المدالية الذهبية

وتريزدويافير لها مؤلفات عظيمة في الجغرافيا وفي

علم طبقات الارض وكانت عضواً في المجمع العلمى

بمدينة مننخ

وصوفى جر مين لها اختراعات جليلة في العلوم الطبيعية

« شأنها بأنائها . وهذه الدول الاورباوية قد ارتفعت »  
« في هذه الايام واشتهرت بالعلوم والمعارف والحرف »  
« والصنائع واختراع الامور العظيمة التي عم نفعها فاي »  
« شئ من هذه العلوم والمعارف و اى امر من مخترعات »  
« الحرف والصنائع اشتهرت به امرأة من النساء ؟ »  
والذى يقرأ هذه السطور يحق له ان يظن ان هذا  
العالم الازهرى وامثاله لم يطلعوا على تاريخ من التواريخ  
ولا سفر من الاسفار ولا خبر من الاخبار  
فالنساء اللاتي خلد التاريخ ذكرهن لشهرتهن  
بالعلوم والمعارف او بالاعمال العظيمة لسن بنى العدد  
القليل ويوجد مؤلفات ضخمة تشتمل على تراجم حياتهن  
وليس فى امكاننا ان نأتى هنا على ذكر اعمال بعض من  
اشتهر من النساء فى التاريخ ووربما تسمح لنا الفرصة بوضع  
كتاب مخصوصه لذلك وانما يمكننا ان نأبد هنا انه  
لا يوجد علم من العلوم ولا فن من الفنون الا وقد  
برهنت المرأة فيه على انها مستعدة الى ان تصل الى

وقال لامارتين « اذا قرأت المرأة كتابا فكأنما  
قرأ زوجها واولادها »

وامتال هذه الحكيم مما نطق به العلماء والفلاسفة  
وما ورد في مؤلفاتهم لبيان ماللمرأة من الاثر في اصلاح  
اخلاق الامم بلغ من الكثرة حداً بحيث لا تمكن  
الاحاطة به

ومن الغريب ان الكثير من شباننا الذين لهم المام  
باللغات الاجنبية والذين لا بد ان يكونوا قد اطلعوا على  
بعض هذه المؤلفات يرون انى بالغت في اعلاء شأن  
المرأة وتعظيم وظيفتها - بل كان من أمر بعضهم ان  
احتقر رأينا وعده من سقط المتاع الذى لا يليق بان ينظر  
فيه . وكأن العالم الازهرى الذى رد على كتاب تحرير  
المرأة قد عبر عن افكارهم عند قوله :

« ما سمعنا فى تاريخ من التواريخ ولا فى سفر »

« من الاسفار ولا فى خبر من الاخبار ان أمة من »

« الامم او دولة من الدول تقدمت بنسائها وارتفع »

نورد هنا شيئاً من كلام بعض فلاسفتهم لنبيين للقرن  
منزلة النساء في رأيهم

قال سيماس « للمرأة في تهذيب النوع الانساني  
اكثر مما لأى استاذ فيه وعندى منزلة الرجل في النوع  
منزلة المنخ من البدن ومنزلة المرأة منه منزلة القلب »  
وقال شيلر « كلما وجد رجل وصل بعمله الى غايات  
المجد وجدت بجانبه امرأة محبوبه »

وقال روسو « يكون الرجال كما تريد النساء فاذا  
أردت ان تجعل الرجال من ذوى الهمة والفضيلة فعلم  
النساء الهمة والفضيلة »

وقال فنلون « ان الواجبات التى تطالب بها النساء  
هى اساس الحياة الانسانية فالمرأة تدير جميع شؤون العائلة  
وبهذا العمل يكون لها اعظم نصيب فى اصلاح الاخلاق  
او افسادها . ليست الامة صورة تقوم بنفسها كما يتخيل  
وانما هى مجموع جميع العائلات وما من أحد يمكنه ان  
يهذب العائلة سوى المرأة »



المتاعب لطبعها في نفسه وتثبيتها في طبعه  
 فهي التي كانت تحرص على ان لا يقع تحت حواسه  
 صورة قبيحة وهي التي كانت تقدم اليه صور الاشياء  
 الجميلة على اشكالها المختلفة . وهي التي كانت تعودده على  
 العادات النافعة شيئاً فشيئاً حتى رسخت فيه كما ترسخ  
 جذور النباتات في الارض

هذه الوظيفة التي تقوم بها الامهات في تلك البلاد  
 هي اهم وانفع ما يعمله انسان حي على وجه الارض اذ  
 لا يوجد شيء اهم ولا انفع من تهذيب نفوس الاطفال  
 واعدادهم لان يكونوا رجالا صالحين

من هذا يتبين ان عمل المرأة في الهيئة الاجتماعية  
 هو تكوين اخلاق الامة . تلك الاخلاق التي اثرها في  
 الاجتماع من حيث ارتقاء الامم وانحطاطها يفوق آثار  
 المنظمات والقوانين والديانات

لهذا لا يوجد بين الغربيين من يجهل مقام المرأة  
 في الوجود الاجتماعي وشأنها في العائلة . ولا بأس من ان

ينقص منه الا شيئاً قليلاً لا يترتب عليه تغيير الكتاب .  
 هذا هو السرفي احترام الغربيين نساءهم وتقديسهم  
 امهاتهم . فهم يعلمون ان كل ما هم عليه من الصفات  
 الحسنة والاخلاق الطيبة هو من فضل امهاتهم اللاتي  
 اودعن فيهم بضعة من ارواحهن وهي خير بضعة كانت  
 عندهن . ان كان بين الغربيين من يشعر من نفسه  
 بحب الحق والميل الى جميل الفعال ويقدر شرف النفس  
 قدره . ويرأف بالفقير ويتألم لآنين المريض ويرحم الحيوان  
 ان كان يوجد بينهم من جعل الترتيب والنظام قاعدة  
 عمله والجد والاجتهاد مشتهى نفسه . ان كان فيهم من  
 يجد في نفسه احتراماً لدينه وتكريماً لشأن وطنه وشوقاً  
 الى طلب الكمال في كل شئ فليس ذلك لانه قرأ في  
 الكتب او تعلم في المدرسة ان هذه الصفات ممدوحة  
 — ولو كان الادب يعلم بالحفظ . لكان اصلاح العالم من  
 اسهل الامور — وانما كان ذلك لان والدته ارادت ان  
 يكون على هذه الصفات وكابدت مالا يوصف من

يلائم حال الطفل من يوم ولادته الى بلوغه سن الرشد  
 يحتاج الى صبر ومثابرة في العمل ودقة في الملاحظة  
 والمراقبة فلما يحتاج اليها عمل آخر لا يؤخذ من ذلك انى  
 اذهب الى ان كل أم يجب عليها ان تحتط بتلك العلوم  
 الواسعة ولكن افول ان جميع الامهات يجب عليهن ان  
 يعرفن كلياتها وكلما زاد علم الواحدة منهن باصول تلك  
 العلوم وفروعها زادت قوة استعدادها لتربية اولادها  
 يرى القراء انى اهملت شأن الآباء عند الكلام على  
 التربية . وليس ذلك من باب السهو بل لان مدار التربية  
 كلها على الام فالولد ذكراً كان او انثى من وقت ولادته  
 الى سن المراهقة لا يعرف قدوة له سوى والدته ولا  
 يعاشر غيرها ولا يرد على حواسه الا الصور التي تعرضه  
 لها . فنفسه صحيفة بيضاء واهه تنقشها كما تشاء . ويتم  
 نقش الصحيفة وتكون كتاباً مسطوراً عند ما يبلغ الطفل  
 سن الرابع عشرة كما قال الفونس دوريه وليس فى امكان  
 الناشئ بعد ذلك ان يضيف على ما رسم فى نفسه او

عليها كل أب وأم وهي ان جميع العيوب التي تشاهد عند  
الاطفال مثل الكذب والخوف والكسل والحمق هي  
ناشئة من جهل ابويه بقواعد التربية . وان من السهل  
ازالة هذه العيوب بالوسائل الادبية . وقد يتوصل لازالتها  
بالوسائل الطبية

اذا كانت وقاية الطفل من الامراض وتطهيره من  
العيوب مما يحتاج الى معلومات كثيرة كما ذكرنا فالوقوف  
على غرائز الطفل الطبية وغرس الصفات الحميدة في نفسه  
يحتاج الى معارف ادق ومعلومات اوفر

يظن الجمهور الاعظم من الناس ان التربية من  
الهبات الهينات ولكن من يعرفها حق المعرفة يعلم ان  
لا شيء من الشؤون الانسانية مهما عظم يحتاج الى علم  
اوسع ولا نظر ادق ولا عناية اشق مما يحتاج اليه التربية .  
اما من جهة العلم فلانها تحتاج الى جميع العلوم التي توصل  
الى معرفة قوانين نمو الانسان الجسماني والروحاني . واما  
من جهة المشقة والعناء فلان تطبيق هذه القوانين على ما

نفسه وإنما يترن الطفل على أن يحكم نفسه إذا اجتهد  
 أبواه في إقناعه وتنبه عقله الى عواقب أفعاله حتى يتولد  
 في نفسه اعتقاد ثابت بان ما يصيبه من خير أو شرف هو  
 من كسبه

أفضل طريق للتربية يؤدي الى هذه الغاية ( ان  
 يحكم الشخص نفسه ) هي ان يترك الطفل وميله يعمل  
 العمل حسب ما يسوقه اليه خاطره ولا يتداخل المرابي  
 الا ببيان ما ينتج عن هذه الاعمال بصورة نصيحة  
 وارشاد . فاذا لج الصبي في مخالفة النصيحة تركه حتى يقع  
 في عاقبة عمله لكن مع المراقبة الدقيقة كي لا يكون ضرر  
 العمل شديداً وإنما يسوغ الردع والمنع في الاحوال النادرة  
 التي يعرض الصبي نفسه فيها للخطر

بهذه النظر بقة يستعد الطفل الى ان يكون رجلاً  
 يعتمد على نفسه في الوقت الذي لا يجد بجانبه احداً يدافع  
 عنه ويحافظ عليه

يمكن ان افرد بوجه الاجمال حقيقة اود ان يطام

والسخافة عما يستعمله النساء . ومن اقبح ما يصنعه كثير  
من الآباء مع ابناءهم ان يشتم ويسب الوالد ولده بالفاظ  
لا يدري الطفل معناها فيجيبه الولد بمثلها فاذا احسن  
الاجابة ضحك ابوه مسروراً واستبشر بنجاة ولده .  
وكذلك ترى الواحد منهم يأمر ولده امرأ لا داعي له  
فيخالفه الطفل فينقض عليه كالوحش فاقد الشعور ويضربه  
في اى مكان يصادفه من جسمه . ولم يكن ذلك منه الا  
لانه يرى في عدم طاعة ولده اخلالاً بسلطته وامتهاناً  
لعظمته

ولو كان هذا الاب يعقل ما يفعل وعلم ان كل ما  
يعود عليه الطفل في نشئته يحدث في نفسه أثراً يكون  
مبدأً لملكة راسخة فيها لما عوده على ما لا يحسن ان يراه  
منه في كبره . ولو علم ان المقصود من التربية ليس ان  
يتعود الطفل على ان يطيع كل امر يصدر اليه وانما الغرض  
منها ان يتعود على ان يحكم نفسه لاجتناب الامر والتهديد  
والضرب . فان هذه الوسائل لا تهياً الطفل الى ان يحكم

ارادت ان تأدبه هددته بما لا تستطيع او بما لا تريد  
ان تنفذه او خوفته بموهومات تثير في ذهنه خيالات  
ربما لازمتها مدة حياته . واذا ارادت ان تكافأه وعدته  
بوعود لا تفي بها . فتكون له بذلك قدوة في الكذب  
وتحدث في نفسه ضعف الثقة بالقول . وهي في اغلب  
حالاتها تظهر الغضب عليه وتنهره بالصوت الشديد  
وتزعجه بمحركات التهديد . كأنها تريد ان تثبت له باقوى  
الدلائل انها عاجزة عن ضبط نفسها وسياسة توأها .  
وربما كان السبب الذي اثار غضبها لا يستحق من ذلك  
كله شيئا . فادارت منه انفعالا مما صدر منها لم تلبث ان  
تضمه وتقبله وتظهر له غاية الندم على ما صدر منها .  
والولد المسكين لا يدري كيف استحق غضبها او لاثم  
رضائها ثانيا

هذه الميوب ليس خاصة فقط بالامهات بل نجد  
كثيراً من الاباء عندنا لجهلهم بطبيعة النفس الانسانية  
يستعملون في تربية اولادهم طرقا لا تقل في الشناعة

التغذية. حتى قال بعض علماء الطب ان الامم التي تفضل غيرها في التغذية تفوق سواها في القوة وتتغلب على غيرها من الامم

وعلى الام ان تعرف كيف تقي جسم ولدها من اعراض الحر والبرد وما هو الماء الذي ينبغي استعماله في نظافة جسمه من حار او فاتر او بارد . وعليها ان تعرف ان للهواء والشمس اثرأ حميداً في الصحة فلا تحرمه من التمتع بهما. وهكذا يقال في الاشياء الاخرى كالنوم والالاب وما أشبه ذلك

ثم يجب عليها من جهة اخرى ان تكون على علم تام بنفس الطفل ووظائف قواه العقلية والادبية والا كانت اول عامل في فساد اخلاق ولدها

انظر الى ما تعمله امرأة مصرية مع ولدها تجده مما لا يصدر عن انسان عاقل يقدر لعمله نتيجة . مثال ذلك انها تمنعه من اللعب كي لا يشوش عليها وهي لا تدري انها بمنعها له عن اللعب تقف في سبيل نموه . واذا



ان تتخذ له وقاية من العلل بقدر معارفها الصحية ولو  
 علمت كل ام ان اغلب الامراض التي تنهك جسم ولدها  
 لا تصيبه من غير سبب وانها المسئولة عن صحته ومرضه  
 لما تساهلت في وقايته من كل ما من شأنه ان يضر بيده  
 ولكن كيف تصل الى معرفة ذلك مع جهلها الذي يخيّل  
 لها ان المسببات تقع بلا اسباب او تحصل باسباب  
 خارقة للعادة؟

لا ينبغي هنا ان اشرح بالتفصيل كل ما يليق ان  
 يعرفه القراء في هذا الموضوع وانما نقول بالاجمال ان  
 التربية الجسمية للولد وحدها تستدعي معارف كثيرة  
 اغلبها يتعلق بقوانين الصحة وان معرفة هذه القوانين  
 تحتاج الى مقدار عظيم من معارف اخرى لا بد منه  
 ليتمسك فهمها

فعلى الام ان تعرف افضل الطرق لتغذية الاطفال  
 لان الانتظام في نمو الجسم يرتبط دائماً بانتظام التغذية.  
 وجودة الانسجة وخصوصاً النسيج المخي تتعلق بوجود

احصائية مصلحة عموم الصحة التي نشرت في هذا العام  
 فوجدت ان عدد المتوفين بين الاطفال الذين لم يتجاوز  
 عمرهم خمس سنين هو في مدينة القاهرة ١٤٥٥ في الالف  
 ويقابل ذلك في مدينة لوندرة ٦٨ في الالف

فاذا كانت صحة اولادنا ومرضهم وحياتهم وموتهم  
 متعلق بالطريقة التي يتبعها النساء في تربيتهم افلا يكون  
 من ضعف العقل وسخافة الرأي ان نكل اولئك الاولاد  
 الى ما يقترحه الجهال وتركهم الى خرافات المراضع  
 ونصائح العجائز تتصرف فيهم كيف تشاء

ان الامهات الجاهلات يقتلن في كل سنة من  
 الاطفال ما يربو على عدد القتلى في أعظم الحروب وكثير  
 منهمن يجلبن على اولادهن امراضاً وعاهات مزمنة تصير  
 بها الحياة حملاً ثقيلاً عليهم طول عمرهم. وليس لهذا البلاء  
 سبب في الاغاب سوى جهل الامهات بقوانين الصحة.  
 لو كانت ام الطفل تعرف ان كل ما يتعلق بتغذية الطفل  
 ومسكنه وملبسه ونومه ولعبه له اثر على جسمه لا يمكنها

وتنوعت هي صادرة عن اصل واحد وهو علمه واحساسه  
فان كان هذا الاصل رافياً كان اثره في كل شيء كبيراً  
نافعاً حميداً وان كان منحطاً كان اثره في كل شيء حقيراً  
ضاراً غير محمود

فالوظيفة الحقيمة التي تأديها المرأة المصرية عندنا  
اليوم في العائلة هي مطابقة لمنزلاتها من ذلك الاصل المتقدم  
ذكره . ولكن عجز نساؤنا الان عن القيام بالاعمال التي  
ينبغي ان تناط بهن لا يحملنا على اليأس من ارتقائهن  
ولا على الحكم باستحالة بلوغهن الى الحد الذي يرجى لهن  
فعلى المرأة واجبات غير ما يظن الجمهور عندنا واهم  
هذه الواجبات هي تربية الاولاد

اذا اردت ان تعرف مقدار جهل الامهات عندنا  
ببسط مبادئ التربية انظر الى احصائيات وفيات  
الاطفال عندنا واحصائيات تلك الوفيات في مدينة مثل  
لوندرة تجد ان عدد الموتي من اطفالنا يزيد عن ضعف  
عدد الموتي من اطفال مدينة لوندرة . وقد اطلمت على

حرمانها حريتها وافقدناها استعدادها للقيام بضرورات حياتها انتهى بنا الحال الى أن ضيقنا دائرة اعمالها حتى في العائلة . وهذا اقوى دليل على ان كل ما يختص بارتقاء المرأة يرتبط بمعضه ببعض فالمرأة المهذبة الحرة هي التي يمكن ان يكون لها نفوذاً عظيماً في عائلتها والمرأة الجاهلة المستعبدة لا يمكن ان يكون لها من النفوذ في عائلتها اكثر مما يكون لرئيسة الخدم في البيت .

ظن المسلمون ان تمتع المرأة بحريتها واشتغالها بما يهتم به الرجال والتوسع في تربيتها يفضي الى اهمالها في القيام بما يجب عليها في الشؤون العائلية فوضعوا بينها وبين العالم الخارجي حجاباً تاماً حتى لا يشغلها شيء عن معاشره زوجها وادارة منزلها وتربية اولادها ولكن انظر الى النتيجة تجد انها خلاف ما قصدوه حيث ان المرأة المصرية لا تعرف كيف تعاشر زوجها ولا يمكنها ان تشتغل بادارة بيتها ولا تصالح لان تربى اولادها ذلك لان جميع اعمال الانسان مهمما اختلفت

## الواجب على المرأة لعائلتها

الى هنا كان كلامنا في التربية والاعمال التي لا بد منها لحفظ وجود المرأة على الوجه اللائق بها ونريد الآن ان نتكلم على الاعمال والتربية التي تلزم للمرأة لتكون نافعة في عائلتها

جميع الناس متفقون على ان قوام العائلة ونظامها في يد المرأة ولكن ليس كل الناس سواء في فهم هذ القضية . فالجمهور الاعظم من الناس يفهمون ان معنى ذلك هو ان تقوم المرأة بخدمة زوجها واولادها ان كانت العائلة فقيرة او تدير اعمال الخدمة الذين يؤدون هذ الاعمال باوامر تصدرها اليهم ومراقبتها لهم ان كانت العائلة غنية

الى هذا الحد يقف فكرهم هكذا بخسنا المرأة حقها في جميع الاحوال فبعد ان

بالاعمال التي تراها لازمة للقيام بمعاشها وان هذا الحق  
يستدعي الاعتراف لها بحق آخر وهو ان توجه تربيتها  
الى الطرق التي تؤهلها الى الانتفاع بجميع قواها وملاكتها  
وليس معنى ذلك الزام كل امرأة بالاشتغال باعمال  
الرجال وانما معناه انه يجب ان تهيأ كل امرأة للعمل  
عند مساس الحاجة اليه



يجب ان تربي المرأة على ان تدخل في المجتمع  
الانسانى وهى ذات كاملة لا مادة يشكها الرجل كيف  
ما شاء

يجب ان تربي المرأة على ان تجد اسباب سعادتها  
وشقاءها فى نفسها لا فى غيرها

بماذا تقابل رجلا ينصحنا بقوله ربوا ابناؤكم ايكونوا  
ازواجا فقط ولا تعدوهم الا للزواج ؟ لاريب انا نقابله  
بالسخرية والاحتقار. لاننا نعلم ان الرجل لا بد له اولا ان  
يكون انسانا مستعدا ان يلافى من المشاق والمصاعب  
ما يلافيه الانسان وان ينال من السعادة ما يليق  
بالانسان ان يناله فتى تعلم وصار قادرا على كسب عيشه  
وكان متجملا بحسن الاخلاق كان بالطبع زوجا صالحا.  
فكيف تقبل نصيحة من يقول لنا اعدوا بناتكم لان  
يكونونوا فرشا فقط ولا تعدوهن امير ذلك من مقاصد  
الحياة وغايتها ؟

نتج من كل ما تقدم ان للمرأة حقا فى ان تشتغل

التي قوامها الترتيب والتنظيم ولا تحتاج الى قوة العضلات  
والاعصاب كالتجارة . فكم من بيوت تجارية ارتفعت  
بايدي النساء بعد ان كانت سقطت من ايدي الرجال .

وكذلك يمكن للنساء مزاولة جميع الحرف الاديية  
ان المرأة المصرية اذا احتاجت اليوم الى كسب

معاشها بنفسها لا تجدد عملا تتناول منه ما تقتات به الا  
بعض الاعمال الشاقة السافلة كالخدمة في بعض البيوت  
او الجولان في الطرق لبيع السلع الزهيدة القيمة . فتمنع  
النساء عن الائتغال بما يشغل به الرجال كانه في الحقيقة  
تخصيص لهن بمثل هذه الاعمال الدنيئة التي لا ينالها  
الا القليل التافه وحرمانهن من الاعمال الشريفة التي  
تعود على اربابها بالمكاسب الوفيرة

فهذه المنزلة المنحطة هي التي تريد استبدالها بارتفاع منها

يجب ان تربي المرأة على ان تكون لنفسها اولاً -

لان تكون متاعاً لرجل ربما لا يتفق لها ان تقترن به

مدة حياتها



كبير في بلادنا حيث اننا جميعاً مضطرون لأن الى  
تربية بناتنا في المدارس الاجنبية

والحرفة النانية هي صناعة الطب. كل رجل يعرف  
مقدار الصعوبة التي يكابدها عندما تكون احدى النساء  
من اقاربه مريضة وبلح عليها ان تعرض نفسها على طبيب  
من الرجال خصوصاً اذا كان الممرض من الامراض الخاصة  
بالنساء. فاذا وجد عدد من النساء يعرفن صناعة الطب  
فلا شك ان صناعتهم تروج رواجاً عظيماً بما يجدهن من  
الحاجة اليهن في البيوت المصرية. وهنا نقول ايضاً ان  
فن الطب هو من الفنون التي تلائم استعداد النساء  
الطبيعى. وما يشاهد الآن في المستشفيات العمومية وفي  
العائلات من الخدمات الجميلة التي تقوم بها النساء هي  
اعظم برهان على ان المرأة بما جبلت عليه من الرأفة  
والجلد والاعتناء الشديد صالحة لمثل ما يصلح له الرجال  
من معالجة الامراض ان لم تكن اشد صلاحية لذلك منه  
كذلك يمكن للمرأة ان تشتغل بجميع الاعمال

« معها طريق الحياة كانت هذه التربية أحسن ما يأهلها »  
« للقيام بواجباتها العائلية . وان لم يوجد احد يرغب »  
« الاقتران بها فقد خلص الاب من اللأئمة حيث انه »  
« تبصر في المستقبل وعمل كل ما يمكن أن يعمل ليعدها »  
« للغلبة على ما تلاقيه امامها من الصعاب ومرارة الحياة »  
ويوجد حرفتان اود ان تتوجه نحوهما تربية البنات  
عندنا : الاولى صناعة تربية الاطفال وتعليمهم . هذه  
الصنعة هي احسن ما يمكن ان تتخذها امرأة تريد ان  
تكسب عيشها لانها صنعة محترمة شريفة والمرأة اشد  
استعداداً لها من الرجل وادري منه بطرق استمالتهم  
واكتساب محبتهم . وبلادنا اشد البلاد حاجة الى نساء  
يعرفن هذه الصناعة فانه لا يكاد يوجد عندنا امرأة يوثق  
بها في تربية الاولاد . والعائلات المصرية في احتياج الى  
عدد وافر من مربيات الاطفال حتى تستغنى بهن عن  
المربيات الاجانب . كذلك لا يوجد في مصر مدارس  
للبنات يتولى ادارتها والتعليم فيها مصرية . وهذا نقص

- « على هذه الطريقة وما هي الواجبات التي يتأهبن الي »  
 « اداءها بهذه التربية فمليك ان تتأمل في هذه المسئلة »  
 « اى تقف على سرها. اذا فكرت فيها تعلم انه يوجد »  
 « تياران متعاكسان يقابلاهما حالتان للمرأة مختلفتان »  
 « وبيان ذلك ان البنت ان بقيت عذبة تضطر »  
 « الى ان تجاهد في سبيل الحياة كالرجل الذى يناضلها »  
 « فاحسن تربية توافقها حينئذ هي تربية كثرية الرجال »  
 « اما اذا تزوجت فحمل المماش يكون على زوجها وهي »  
 « تشتغل بادارة منزلها وتربية اولادها. ولكن من ذا »  
 « الذى يعلم مستقبل البنت وهي في السنة العاشرة من »  
 « عمرها؟ وما الذى يعمله الآباء امام هذا المستقبل »  
 « المجهول؟ رأى الاميريكانيون ان من الفطنة ان »  
 « يعملوا كأن بناتهم لا يتزوجن وان يربوهن كالذكور »  
 « من جهة التعليم والاستقلال فى السير. قال اب الاميريكى »  
 « يربى بنته على ان تعتمد على نفسها لانه يجهل مستقبلها »  
 « فان صادفت زوجها يريد ان يضع يده فى يدها ويقطع »

العلم من علمه او نظرنا الى اللذة المعنوية التي يذوقها  
فالتعلم على كل حال مطلوب

بين يدي الآن كتاب ألفه احد الكتاب الفرنسيين  
وهو بول دروزيه وسماه الحياة الاميريكية قال فيه عند  
الكلام على تربية البنات ما يأتي :

- « رأيت في امريكا الصبيان والبنات يذهبون الى  
« مدرسة واحدة ويجلسون على مكتبة واحدة بعضهم  
« بجانب بعض ويسمعون دروساً واحدة ويرتاضون  
« معاً. فاذا اتوا دروسهم استمر هذا الاختلاط حيث  
« ترى البنات في المعامل والمصانع يشتغلن ويستخدمن  
« في اللوكوموتورات الكبيرة لسكك الدفاتر ويربين الاطفال  
« في المدارس الابتدائية ويطابن العلم في مدارس الطب  
« وترى منهن قسيسات يخطبن في الطرق واعضاء في  
« الجمعيات الخيرية ورئيسات في المجالس البلدية وما  
« اشبه ذلك. اذا أردت ان تعرف ما هو سبب هذه  
« العادات الغريبة وما هو المقصود من تربية النساء »

وحوادث الفقر والطلاق وموت الزوج والعزوبة  
 كلها حوادث جارية وتقع في كل آن . ولما كان الاطلاع  
 على الغيب امرأ غير ميسور للانسان وجب ان تستعد  
 كل امرأة لهذه الحوادث قبل ان تقع فيها  
 لهذا نرى ان من اهم مايجب على الالباء ان يعدوا  
 بناتهم لاستقبال هذه الحوادث بما يدفع شرها وبقي  
 من ضررها ويهدهن سبيل الوصول الى حظ من  
 السعادة في هذه الحياة

نعم نرى انه يجب على كل اب ان يعلم بذته بقدر ما  
 يستطيع ونهاية ما يمكن وان يمتنى بتربيتها كما يعنى بتربية  
 اولاده الذكور . فاذا تزوجت بعد ذلك فلا يضرها  
 علمها بل تستفيد منه كثيرا وتفيد عائلتها وان لم تزوج  
 او تزوجت ثم انفصلت عن زوجها السبب من الاسباب  
 الكثيرة الوقوع امكنها ان تستخدم معارفها في تحصيل  
 معاشها بطريقة ترضيها وتكفل راحتها واستقلالها وكرامتها  
 وسواء نظرنا الى الفوائد المادية التي ينالها صاحب

يفضى اليه رأيهم هذا لوافقونا في رأينا وحكموا بحكمنا  
لأنهم يقولون ان المرأة تفارق الحجاب وتتناول من  
الاعمال ما يتناوله الرجال اذا مست الحاجة الى ذلك .  
ولا يخفى ان كل نفس حية معرضة لانتياب الحاجات  
ونزول الضرورات . والعمل الذي تدفع اليه الضرورة  
وتحمل عليه الحاجة لا يكفي في القيام به على الوجه اللازم  
ان تتوجه المرأة اليه وتدخل فيه بل يازم قبل الدخول  
فيه ان تكون نفسها مستعدة تمام الاستعداد لمباشرته  
والا تيان به على وجه يوصل الى المرغوب وهذا الاستعداد  
لا يكون الا بالتربية والعلم والتمرن والممارسة واختيار  
الناس فلو حرمت المرأة من التأهب لملاقات الضرورات  
حتى وقعت فيها لم تستطع للخلاص منها سبيلا وكان  
حرمانها من هذا التأهب عبارة عن تسليمها للهلاك  
ويا عجباً كيف نتوقع الخيبة للرجل منا اذا كان  
ناقص التربية قليل المعرفة عديم الاختبار ولا نتوقع تلك  
الخيبة للمرأة اذا اشتركت معه في هذه النقائص ؟

يقول المعترضون أنهم لا يمنعون النساء الفقيرات من مباشرة أعمال الرجال والاختلاط بهم كما أنهم لا يمنعون المرأة من التعليم اذا كان لازما لكسب عيشها لان الضرورات تبيح المحظورات . وقد اتفق جميعهم على هذا الرأي حتى حضرة العالم العلامة ( هكذا هو لقب نفسه على ظهر كتابه ) الذي انتدب عن فقهاء الازهر للرد على تحرير المرأة . فيكلمهم يرون ان منع المرأة من كشف وجهها ومن الخروج من بيتها ومزاولة أعمال الرجال والاختلاط بهم ومن التعليم الذي يؤهلها الى هذه الاعمال هو خاص بغير الفقيرات من النساء اللاتي تلجأهن الضرورة الى السعى لتحصيل أرزاقهن ويتبين من هذا أنهم متفقون ممنا في حالة الضرورة ولكنهم يخالفوننا في غيرها . فهم يرون ان الاباحة يلزم ان تكون خاصة لهذه الحالة فقط وبهؤلاء النسوة ونحن نرى انها يلزم ان تكون عامة شاملة لجميع النساء والاحوال ولو شاؤا ان يفهموا ما يقولون وان يقفوا على ما

نعم يوجد في كل أمة متمدنة عدد من النساء  
الجانهن الضرورة الى السعي والكد والاشتغال باعمال  
الرجال - أى مسترجلات - اذا شئت . وهن النساء  
اللاتى زهد فيهن الرجال فلم يرغب احد في زواجهن  
والارامل اللاتى توفى زوجهن والمطلقات اللاتى تركهن  
أزواجهن . هؤلاء النسوة لم يقترفن ذنباً على الهيئة  
الاجتماعية فما من واحدة منهن الا وكانت تتمنى أن  
تجد رفيقاً صالحاً يحبها وتحبه ويساعدها وتساعده ما من  
واحدة منهن الا وفي قلبها أثر الحزن لانها لم تلد ولداً  
تشتغل بتربيته . ما من واحدة منهن الا وتبكي في  
وحدها سوء حظها وتأسف على ضياع الامانى التى قضت  
حياتها في انتظارها

ولكن ما الحيلة اذا كان نظام الوجود يقضى بان  
كثيرا من النساء يعشن فى الوحدة والانفراد ويسعين  
ويعملن لكسب قوتهن وقوت أولادهن وبعض  
أقاربهن من القواعد والمجازين عن الكسب



او خاص ببعض المواضع . وانما يمكني أحقق ان  
متوسط السن الذي يحصل فيه الزواج زاد عما كان عليه  
في الماضي . فهو الآن ما بين العشرين والثلاثين في  
الغالب وكان فيما مضى سن البلوغ . وكثيراً ما كان  
يحصل الزواج قبله

وليس يفيد شيئاً ان يصبح ارباب الاقلام عندنا  
ناقين على ما وصلت اليه حالنا اليوم وما اتصل اليه على  
ممر الايام وان يستشهدوا بما وقعت فيه اوروبامن نقصان  
عدد الزواج فيها واحتراف النساء باسغال الرجال . ذلك  
لا يفيد لانه لا يمكن ان يترتب على هذه الشكوى اثر ما  
في مجرى الحوادث في العالم . ولو كانت الشكوى تكفي  
لتغيير الحال لكان الامر سهلاً

والحقيقة ان أهم عامل له اثر في حال الامة هي  
حالتها الاقتصادية . ومن الاسف هذه الحال الاقتصادية  
ليس في امكان احد من الناس ان يحكم عليها ويديرها  
كيف يشاء

ان يخرق الصفوف التي امامه . هذا ان ساعده الحظ  
وحسن الاستعداد على نيل مركز في التجارة او الصناعة  
او الحرف الادبية . والكثير منهم يتضي حياته في البحث  
ولا يجد شيئاً

ومن الاحتياط عندهم ان لا يتزوج الشخص قبل  
ان يكون على ثقة من وسيلة للرزق يحصل بها ما يكفي  
لمعاشه ومعاش اولاده . لانهم يشعرون بما يجب عليهم  
لمآلئهم ولا يرضون ان يكونوا سبباً في شقاء ازواجهم  
واولادهم . فانما الجاهل هو الذي يحمله الطيش على التمتع  
بالزواج ويستهن بما تفرضه عليه تلك الجامعة . ولا  
يعرف لاهله حقاً عليه

فتحن مسافون في هذا الطريق بقوة لا يستطيع  
أحد مقاومتها . ويظهر لي ان الزواج عندنا قد بدأ في  
التناقص فاني اعرف كثيرآ من الذكور والاناث تجاوزوا  
السن الذي يحصل فيه الزواج عادة ولزمهم العزوبة  
مختارين او مضطرين . ولكني لا ادري هل ذلك عام

لان الحوادث الاجتماعية خاضعة لقوانين طبيعية يسهل  
 معها العلم بما سيكون من أمرها في المستقبل  
 لهذا يمكننا أن نأكد أن عدد النساء المحترفات  
 لا بد أن يزداد في كل سنة عن الاخرى لاننا نساثرون  
 في الطريق الذي سارت فيه اوروبا قبلنا

ولا خلاف في أن عدد الزواج في اوروبا هو اقل  
 منه في الشرق . وسبب ذلك أن الواحد منهم لا يتزوج  
 بالسهولة التي لا يتزوج بها الواحد منا فان الاوروبي يطلب  
 من الزوجة قريناً يرافقه طول حياته وصاحباً يشاركه في  
 جميع اعماله وافكاره وعواطفه فهو يطلب لها جميع الصفات  
 التي يبحث عنها الواحد منا اذا أراد أن يتخذ له صديقاً  
 فالعشور عليه يكون صعباً

وأضيف على ذلك سبب آخر . وهو ان الحالة  
 الاقتصادية في البلاد المتقدمة لا تسمح للفرد أن يكون  
 قادراً على كسب عيشه قبل بلوغه سن الثلاثين الا في  
 النادر لانه يصادف في طريقه مزاحمات عظيمة وعليه

الطرق وعيشي كما يعيش الرجال فاننا نكرر القول باننا نود ان كل امرأة تكون زوجة وان كل زوجة تكون اما .  
ولكن هذا لا ينسبنا ان الواقع هو غير ما نتمنى اذ الواقع ان عدداً عظيماً من النساء ليس لهن عائل ولا واجبات عائلية

هذا القسم من النساء هو قليل عندنا اليوم بالنسبة للبلاد الغربية فاننا لو اخذنا اخر احصائية في فرنسا وجدنا أنه يوجد ١٧٠ و ٦٢٢ و ٣ من النساء غير متزوجات و ٧٧٨ و ٦٠ و ٢٠ ارا مل و ٩٢٤٢٨٦ متزوجات وليس لهن اولاد أي يوجد في فرنسا زيادة عن خمسة ملايين من النساء صالحات للعمل مضطرات اليه بدون ان يكون في اعمالهن ضرر يلحق بعائلتهن

ولكن مع مرور الزمن وتقدم المدنية في بلادنا سيزداد عدد النساء الخاليات عن الزواج وبدل ان يوجد اليوم اثنان في المائة من النساء المصريات يتعيشن بصنعة او حرفة سيوجد عن قريب اضعاف هذا العدد. ذلك

ان تزوج وتلد وتربى اولادها . هذه قضية بديهية  
لا تحتاج في تقريرها الى بحث طويل وانما الخطأ في ان  
بنى على ذلك ان المرأة لا يلزمها ان تستعد بالتعليم والتربية  
للقيام بعاشها وما يلزم لمعيشة اولادها ان كان لها  
اولاد صفار عند الحاجة

ذلك لانه يوجد في كل بلد عدد من النساء لم يتزوج  
وعدد آخر تزوج وانفصل بالطلاق أو بموت الزوج  
ومن النساء من يكون لها زوج ولكنها مضطرة الى  
كسب عيشها بسبب شدة فقره او عجزه او كسله عن  
العمل . ومن النساء عدد غير قليل متزوجات وليس لهن  
اولاد . كل هؤلاء النسوة لا يصح الحجز عليهن عن  
تناول الاشغال الخارجة عن المنزل بحجة ان لهن رجال  
قائمين بعاشهن اولاً ان عليهن واجبات عائلية او وجود  
عوارض طبيعية تحول بينهن وبين العمل  
نحن لا نقول للمرأة انه جرى الزواج ولا تبغى النسل  
او اتركى زوجك واولادك فى البيت وقضى اوقانتك فى

هؤلاء النسوة لا ينقص عن مجموع ما سبقهن  
 اذا سلمنا ان عدد النساء المصريات اللاتي ليس  
 لهن عائل لا يزيد عن اثنين في المائة من مجموع النساء  
 المصريات أفلا ينبغي لهؤلاء النسوة اللاتي قضت عليهن  
 ضرورات الحياة بمزاحمة الرجال الاقوياء لكسب عيشهن  
 ان يتهيأن الى النجاح قبل الدخول في معترك الحياة  
 بالوسائل التي يستعملها الرجال انفسهم؟ وهل يكون  
 من الحق والعدل ان يحرم من التربية التي تأهلهم  
 للدفاع عن انفسهم؟ وهل من صلاحة للرجال اولعموم  
 الهيئة الاجتماعية من ان يعيش هؤلاء النساء ضحيئات  
 جاهلات فقيرات؟

نحن لا نجادل في ان الفطرة اعادت المرأة الى  
 الاشتغال بالاعمال المنزلية وتربية الاولاد وانها معرضة  
 لعوارض طبيعية كالحمل ولولادة والرضاع لا تسمح لها  
 بمباشرة الاعمال التي تقوى عليها الرجال . بل نصرح هنا  
 ان أحسن خدمة تؤديها المرأة الى الهيئة الاجتماعية هي

مائة امرأة يشتغلن بصنعة ولم يدخل في هذا الاحصاء  
 نساء الارياق اللاتي يشتغلن بالزراعة ولا النساء الاجانب  
 اللاتي بلغ عدد المحترقات منهن بصنعة عشرين في المائة .  
 وغنى عن البيان ان هاته المحترقات هن نساء  
 لاعائل لهن لما نعهده من أن الرجال لا يسمحون  
 لزوجاتهم ولا لبناتهم ان يحترفن بصناعة مالم يكنوا  
 أنفسهم عاجزين عن كل كسب

واذا رجعنا الى مشاهدتنا نجد أن النساء اللاتي  
 لاعائل لهن يزدن عن هذا المقدار اضعافه لان الاغلب  
 منهن يعيش عالة على أقاربهن ومنهن من يستعمل  
 لكسب العيش وسائل لا يعترف بها . وأضيف على هذا  
 الصنف أو تلك الزوجات اللاتي لا يكفي كسب أزواجهن  
 لضرورات معاشهن ومعيشة أولادهن . فهن مع  
 أزواجهن دائماً في نزاع وشقاق ثم تزدحم أقدمهن في  
 ساحات المحاكم الشرعية للمطالبة بالنفقة فاذا قدر القاضي  
 للزوجة قرشين في اليوم صاح الزوج هذا كثير . وعدد

ولكن وأسفاه ليس في فطرتها ولا فيما وهب الله لها من القوى ما يهيئها لاخذ أهبتها في هذا الجهاد

هذه المسئلة لا تحل ببعض كلمات مثل كون المرأة ضعيفة أو قاصرة العقل لان الضعيف والقوى وصاحب العقل الكبير وذو العقل الصغير والجاهل والعالم كلهم يستوون أمام ضرورات الحياة. وانما الذي يفيد في فهم حقيقة هذه المسئلة وحلها هو أن يعرف أولا هل يوجد نساء ليس لهن عائل يقوم بحاجاتهن أو يوجد لهن عائل لكن كسبه لا يكفي لفضاء ما يحتاجن اليه . ثم اذا كان يوجد نساء من هذا الصنف فما عددهن وهل هو كثير أو قليل . ؟

والذي يمكننا الرجوع اليه في ذلك هو تعداد أهالي القطر المصرى الذى حصل في سنة ١٨٩٧ وهو آخر احصاء جرى . جاء في هذا الاحصاء ان جملة النساء المصريات اللاتى يشتغلن بصنعة أو حرفة هو ٦٣٧٣١ أى انه يوجد الآن في مجموع المصريات اثنتان في كل



القوى العقلية والبدنية أكثر مما يحتاج اليه القراع  
بالسيوف والمرامة بالسهم

ولقد استدار الزمان على المرأة ورجعها الى قانون  
الفطرة . فعرض لها من الحاجات ما لا يمكن معه ان  
تعيش مقصورة في بيتها فهي مضطرة رغما عنها ان تدخل  
في ما دخل الرجال فيه وان تعمل لتكسب وتعيش وتغلو  
وتعلم وهي بحكم هذه الضرورة في اشد الحاجات الى تعلم  
ما يمكنها من بعض الغلبة في هذه المزاجمة العظيمة

وما تسمعه الان من صياح النساء وعويلهن  
وشكواهن من الرجال لعدم القيام بالانفاق عليهن أو  
اغتيال حقوقهن ومن أخاديت تطوح الكثير منهن في  
مهاوى الرذيلة لسد بعض الحاجات يؤيد ما قلنا ويظهر  
لكل نظر صواب ما بيننا

وانا نسأل مجادلينا فيما نحن بصدده هل يمكنهم ان  
يقولوا ان لاجبة للمرأة تدعوها الى معرفة وجوه  
الكسب وارتفاع المكانة أو يقولوا انها في حاجة الى ذلك

تلكم تحت كنفه انتداب الحال . ولم يبق للقتال حاجة  
الافى احوال مخصوصة يتولاه فيها اناس معروفون :  
واقبل افراد الامة رجالا ونساء بعضهم على بعض يتنافسون  
فى أمور اخرى . فمنهم المتنافسون فى المجد بالعلم ومنهم  
المتسابقون اليه بالثروة وفيهم المجدون فى طابه بالصناعة  
والتجارة والزراعة . واتسع الميدان لتجادل العقول .  
والمرأة انسان مثل الرجل . زينتها الفطرة وهبة العقل  
سقى لها ان تسمو اليوم الى ما يقرب من درجته ان لم  
تستطع أن تساويه فيها . ثم تبع هذه الحالة كثرة الحاجات  
واصبح المقصر فى سعيه الساقط فى عزمه القاعد فى كسبه  
وجعله مهتداً بالموت مخفواً بخطر العدم . وفتح على  
الناس بذلك باب جهاد جديد . فاهل البلد الواحد  
يتزاحمون فى طرق الكسب ويتدافعون فى سبيله بوسائل  
العمل وحيل العقل . وجميعهم يراحم الاجنبى الذى سهل  
عليه مخالطتهم بسهولة المواصلة وتوفر اسباب الامن . وما  
هذا الجهاد بالهين السهل بل هو مما يحتاج الى أعمال

فالمرأة العربية كانت تكتفي من طعامها بخبز من شعير . ومن ملبسها بقميص من قطن ومن مسكنها بيت من شعر . وتحصيل ذلك وتديره لا يحتاج الى علم واسع وحنق كبير . والمرأة العربية عاشت جاهلة بالشؤون المعاشية لان عائلتها وقومها لم يكونوا محتاجين اليها في قوام حياتهم العائلية والاجتماعية . والمرأة العربية كانت مستعبدة لانها كانت في الحقيقة متاعاً يدخل في حوزة الرجل بالسلب او بعقد هو اقرب للبيع منه الى الزواج

اما الآن فنحن في عصر امن الناس فيه بعضهم بعضاً واستقر النظام فيهم فلم تبق الحرب شغلا شاغلا لجميعهم ليدفع بعضهم غائلة بعض . واصبح الناس غير محتاجين الى الفزوفى كسب ارزاقهم . فبعد ان كانت قيم الرجال تغلو وترخص وتعلو وتنحط على حسب غنائمهم فى القتال وحسن بلائهم فيه وبعد ان كان الفائق فى الشجاعة وقوة البأس هو صاحب السلطان الاعلى والضعفاء

لم يكن لها عمل في العائلة لان التربية عندهم كانت  
قاصرة على تغذية جسم الطفل بالرضاعة والا كل حتى  
ينشأ رجلاً مقاتلاً عالمًا فاضلاً

فلا عجب اذا رأينا في كلام العرب وشعرهم وقصصهم  
بل وفي مؤلفات فقاههم وعلماهم وفلاسفتهم ما يدل على  
احتقارهم للمرأة

هذا هو منشأ تولد صورة المرأة في عقول المسلمين  
وهي صورة حقيقية اذا نظر الى الماضي ولكنها مزورة  
اذا نظر الى الحال والمستقبل ذلك لان المرأة المصرية  
اليوم لا تشابه المرأة العربية التي كانت تعيش من آلاف  
سنين لان في الظاهر ولا في الباطن وتختلف عنها في الملبس  
والمأكل والمسكن وفي العادات والاخلاق والحاجات  
والضرورات . لان الحاجة الاجتماعية والاقتصادية التي  
هي موجودة فيها الآن تغيرت تغيراً كلياً عما كانت  
عليه في الماضي . وتبع هذا التغيير لوازم وحاجات كانت  
مجهولة عند نساء العرب

اخلاقها فأنحطاط النفس والميل الى الكذب والاحتيال  
 والتطلع الى اعمال السوء . لا يحول بينها وبين ذلك الا  
 الحكم عليها بملازمة البيت والاحتجاب عن الرجال  
 ولا يرى في تمثيل المرأة في اذهاننا بهذا المثال الا  
 توارثنا آراء العرب فيها

ذلك ان حياة العرب كانت حياة حرب وقتال  
 وازواقهم كانت من الغنائم . وغنى عن البيان ان امة  
 معاشها متوقف على القتال لا يمكن أن يكون فيها للمرأة  
 شأن كبير . اذ المرأة في هذه الميمنة لا تستطيع ان  
 تجارى الرجل . ولذلك نزلت درجتها عندهم وسقطت  
 منزلتها بينهم حتى حسبت من المتاع وادوات الزينة  
 وتناولها السلب وعدت من الغنائم كما عد غيرها من  
 الاموال

ومن هذا نتج التسرى وتمدد الزوجات  
 وكان للمرأة لم يكن لها عمل عند الامة العربية  
 لانحصار الميمنة كلها في الغزو والدفاع عن القبيل كذلك

ولا يخطر بباله ان للمادة الانسانية صورة غير الشكل  
الخيالى الذى ملك عقله . لذلك لا يهتم بان يرى تلك  
المادة فى صورة امرأة راعية أو زارعة أو صانعة أو تاجرة  
ولا ان يبحث ان كانت غنية أو فقيرة . طائشة وحدها  
أو فى عائلة . ساكنة فى المدن أو القرى أو البادية

هذه الصور المديدة المختلفة لا تنفذ الى مداركه  
ولا تقر فيها لان جميع نوافذها قد سدت بحسم النظرية  
التي احتلت عقله . من أوله الى آخره حتى لم يبق فيه  
مكان لشيء آخر

فهو ان كتب أو تكلم لا يكتب ولا يتكلم عن  
امرأة حية ذات لحم ودم واحساس ووجدان . وانما  
يكتب ويتكلم عن المرأة التي فى ذهنه

وهى امرأة شابة سنها بين العشرين والثلاثين .  
جميلة للمنظر رقيقة الطبع . شهوية المزاج . تكفى اشارة  
منها لكفى تنال ما تشتهيها نفسها لانها ذات ثروة عظيمة  
او لان لها بمل وافر الثروة ولا يبخل عليها بشيء . اما

فاذا توفر له ذلك كله لم يتيسر له ان يحكم في  
المسئلة حكما قاطعاً . لانه يعلم ان رأيه قائم على مقدمات  
ظنية فلا تكون نتائجها الا تقريبية . لذلك تراه دائماً  
على طريق البحث . لا يركن الى ما وصل اليه جهده الا  
ليضعه قاعدة لعمل مؤقت . ولا يأنف من تعديل رأيه  
بحسب ما يقتضيه الحال ويظهره العمل .

والامر بالعكس عند صاحب النظرية الخيالية .  
فهو يعتقد ان قضيته تشبه قضية حسابية فهي لا تخطأ  
أبدأ . مع انها مؤلفة من معان عامة مبهمه لا يستقر  
الذهن فيها على شيء محدود — مثل ضعف المرأة وقوة  
الرجل وتقسيم المبيشة الى داخلية وخارجية وهكذا —  
هذه المعاني تملأ عقله . ولكونها مجردة عن الوقائع  
والمشاهدات فهي في الحقيقة الفاظ يكون عنها قاعدة  
عامة صالحة لكل زمان ومكان

فهو لا ينظر الى الاشخاص الحقيقيين . ولا يرى  
نفسه محتاجاً الى ان ينظر اليهم ولا ان يبحث في احوالهم

النظريات ويختبرها بقياسها الى الواقع . فانه اذا اراد  
مثلا ان يحصل لنفسه رأيا في ماهي حقوق النساء التي  
نحن بصدد ها يجب عليه أولا ان يسوق نظره الى الوقائع  
التي تمر امامه . أعني ان يطبق نظريته علي الوقائع  
ويتصورها في ذهنه منفذة ومعمولا بها في قرية ثم في  
مدينة ثم في إقليم وتمثل امامه النساء في جميع أعمارهن  
وأحوالهن وطبقاتهن . فيراهن بنات ومتزوجات  
ومطئنات وأرامل . وبراهن في المدرسة وفي البيت وفي  
الغيظ وفي الدكان وفي الاماكن الصناعية . ويقف على  
سلوكهن مع أزواجهن واولادهن وأقاربهن والاجانب  
ثم يعرف البلاد التي للنساء فيها شأن غير ما للنسائنا في  
بلادنا وكيف انهن يستعملن حقوقهن والنتائج التي  
ترتبت على هذا الاستعمال . ويقف على حالة المرأة في  
الازمان الخالية والتقلبات التي طرأت عليها  
ذلك عمل ليس بالسهل . لانه يحتاج الى معلومات  
جدة ومشاهدات كثيرة



الصعيد حتى ان بعض المديرين الذين اخذ رأيهم في  
تشكيل المحاكم الجديدة في الوجه القبلي كانوا يعدون من  
موانع تشكيها انها لو شككت يكون من احكامها ان  
يعطى النساء حقوقهن في التركات وان في هذا تغييراً  
كبيراً للمعادات المتبعة في تلك البلاد ؛

وليس في هضم حقوق النساء شتى من الغرابة  
ولا هو مما يوجب الدهشة لاحد

نحن نفهم أن رجلا يعيش في عالم الخيال يكتب في  
مكتبته على ورقة ان ليس على النساء الا أن يقرن في  
بيوتهن خاليات البال تحت كفالة وحماية الرجال نفهم  
ذلك لان الورق يتحمل كل شيء

وليس من الصعب وضع نظريات خيالية على هذه  
الطريقة . اذ يكفي في ذلك تركيب بعض جمل مسبوكة  
في قالب لطيف ليقوم الكاتب نفسه مشرعاً حكيماً ويحكم  
على القوانين والمعادات والاخلاق

وانما يجد الصعوبة رجل اعتاد على ان يحلل

لكانت احسن ما يمكن ان يكتب المدافع عن حقوق  
المرأة

لا اظن انى مبالغ ان قلت انه متى اختلطت  
مصصلحة الرجل بمصلحة المرأة لاي سبب من الاسباب  
سواء كان لزواج وقع بينهما او لاشتراك في ملك آل  
اليهما أو لتمهد ارتباطا به فاول ما يسبق اليه فكر الرجل  
هو ان يسلب من المرأة ما يستطيع من حقها والمسكينة  
غافلة عن الاخطار التي تحديق بها. وان اكتشفتها فلا  
يكون في الغالب الا بعد خرابها وعلى اى حال متى  
وقعت في الشرك لم يبق لها من حيلة الالبكاء والمويل  
لانها ترى نفسها في حيرة وارتباك لاتدرى معها ماذا  
تصنع للخلاص

وكل المصريين يعلمون ان النساء في الوجه القبلى  
عامة كن محرومات من حقوقهن في التركات التى  
يرثن فيها بمقتضى احكام الشريعة وان هذه الحال  
بقيت مستمرة الى ان دخل نظام المحاكم الاهلية في

تربية تأهل المرأة الى المدافعة عن نفسها وتحسين حال  
بيتها هو أيضاً نافع

يظن الكثير منا ان المرأة في غنى عن ان تتعلم  
وتعمل ويزعمون ان رقة مزاج النساء ونعومة بشرتهن  
وضعف بنيتهن يصعب معه ان يتحملن متاعب الكد  
وشقاء العمل

ولكن هذا الكلام هو في الحقيقة تدليس على  
النساء وان كان ظاهره الرأفة عليهن

والناظر في احوال هيئتنا الاجتماعية يرى من الوقائع  
المحزنة ما يجعله على يد-نة من ذلك . يرى ان الرجل  
والمرأة هما خصمان لا يتفقان الا في لحظات قليلة وانهما  
يتحاربان اثناء الليل واطراف النهار . يريد الرجل ان  
ينتهب ضعف المرأة وجهلها بمجرد ما عن كل ما تمتلكه  
ويستأثر وحده بالمنافع . وتجتهد المرأة علي قدر امكانها  
في الدفاع عن نفسها ولا تجرد الى ذلك سبيلا

ولو جمعت الوقائع القضائية بين الصنفين في كتاب

الآن في احتياج كبير لرجال يحسنون القيام بالاعمال  
 العمومية وان المرأة المصرية ليست مستعدة اليوم لشيء  
 مطلقاً ويلزمها ان تقضى اعواما في تربية عقلها بالعلم  
 والتجارب حتى تنهيا الى مسابقة الرجال في ميدان الحياة  
 العمومية

لهذا ترك الكلام على الاعمال والمعارف التي تتعلق  
 بالنوع الثالث ونقتصر في الكلام هنا على الاعمال  
 والمعارف التي تختص بالنوعين الاولين  
 مهما اختلف الناس في فهم طبيعة المرأة لا يجوز ان  
 يدعي احد انها يمكنها ان تستغنى عن الاعمال التي تحافظ  
 بها على قواها الحيوية وتمدها للقيام بمحاجات وضرورات  
 الحياة الانسانية

كذلك مهما اختلفنا في تحديد وظيفة المرأة في العالم  
 لا بد ان نعترف انها لا يمكنها ان تتخلى عن الاعمال  
 والمعارف التي تتعلق بواجباتها العائلية. اذن فكل تعليم  
 يتعلق بهذين النوعين من الاعمال يكون نافعا. وكل

الترتيب الطبيعي . فالمعارف التي تضمن سلامة الحياة والقيام بالضرورات والحاجات اللازمة لها هي أهم من غير هانيلزم أن تفضل على المعارف التي تختص بالواجبات العائلية لانه لا يمكن القيام باى واجب عائلى الا بعد قضاء الواجبات الاولى . كذلك المعارف التي ترشد الانسان الى معرفة واجباته العائلية هي مقدمة على المعارف التي تختص بالواجبات الاجتماعية لان قوه الهيئه الاجتماعيه متوقفه على حسن نظام البيوت

اذا تقرر ذلك نقول ان التربية التي تشمل هذه الانواع الثلاث على الترتيب الذى وضعناه هي لازمة للرجال والنساء على حد سواء

ولكن دعنا الآن من المزايا والحقوق السياسية فاني ماطلبت ولا اطلب المساواة بين المرأة والرجل فى شىء منها . لالانى اعتقد ان الحجر على المرأة ان تتناول الاشغال العمومية - حجراً عاماً مؤبداً - هو مبدأ لازم للنظام الاجتماعى . بل لانى ارى اننا لانزال الى

ان النساء لا يصلحن الاجر الذبول مع ان نظرة واحدة  
 في الاعمال النفسية التي يأتى بها النساء في الغرب تكفى  
 في العلم بان حياة المرأة تصح أن تكون مملوءة بشيء افضل  
 من اللهو واللعب وجر الذبول .

هذه الصورة التي شخص بها الشاعر ضرورة المرأة  
 ليست صورة المرأة الحقيقية لانها ليست صورة انسان  
 بل ولا حيوان . اذ ليس في الوجود حتى الآوله وظيفه  
 يؤديها وعمل يشتغل به ولا يوجد بين أنواع الحيوانات  
 من أفضلها الى ادناها فرد الا وهو خاضع لقانون  
 التزامم في الحياة

- اذا أردنا أن نرتب أعمال الانسان بحسب أهميتها  
 نجد انها تنقسم الى ثلاثة أنواع أولها الاعمال التي يحفظ  
 المرء بها حياته . وثانيها الاعمال التي تفيد عائلته . وثالثها  
 الاعمال التي تفيد الوجود الاجتماعي

ومن البديهي ان كل تربية صحيحة يجب ان تتمكن  
 الانسان من القيام بهذه الاعمال وان تراعى هذا

كارى رينار احدى قسيسات الولايات المتحدة خطبت  
 فى الكنيسة فى مدينة لوروا على ملاء عظيم من الرجال  
 والنساء . ثم رأى مرة أخرى ان الست ستون تدرس  
 الاقتصاد السياسى فى كلية شيكاغو لطبة العلم ذكوراً  
 وأناثاً . ثم علم ان لتلك المحامية زميلات يشتغلن امام  
 جميع المحاكم ولتلك القسيسية زميلات فى كثير من  
 الكنائس ولتلك الاستاذة زميلات فى اغلب المدارس .  
 وان تلك النسوة قائمات باعمالهن على طريقة لا تزيد ولا  
 تنقص فى الاتقان عما يقوم به الرجال فى اعمالهم فماذا  
 يعتقد حينئذ ؛ يعتقد ان قول الشاعر .

« كتب الحرب والقتال علينا

وعلى الغايات جر الذبول »

هو قول لا ينطبق على الحقيقة فى شئ فلا يصح  
 الاستناد عليه فى الرد علينا . ونحن نعذر الشاعر الذى لم  
 يفعل سوى حكاية حال النساء التى وجدهن عليها فى  
 عصره . ولكن هل يمكن أن نعذر أنفسنا فى اعتقادنا

رجال الشرق باستعمال الاستبداد مع نساءهم  
هذا المنظر يراه الشرقي ويستغربه في اول الامر

ثم ينسأه

ولا يفكر فيه بمد ذلك فيعيش بجانب الغربيين  
وهو لا يعرف شيئاً من احوالهم. وان اتى ذكرها عنقوا  
في بعض الجرائد أو الكتب فلا يحرك ذلك في نفسه  
ادنى شوق للوقوف على معرفة حقيقتها واستطلاع ما  
خفي منها

ذلك لانه وقر في نفسه ان عاداته هي احسن  
العادات وان كل ماخالفها ليس جديراً بالتفاته واهتمامه  
لكن طالب الحقيقة الذي تعود على طريقة  
الانتقاد العلمي لا يحكم في الحوادث الاجتماعية على هذا  
الضرب من التساهل

فان رأى يوماً في إحدى الجرائد ان الست غوردوني  
ترافعت امام محكمة فرانسسكو الجنائية ودافعت عن  
رجل متهم بالقتل : ثم رأى يوماً آخر في مجلة ان الست



## الواجب على المرأة لنفسها

أول ما يستوقف نظر الشرق الذي يحل في مدينة من مدن أوروبا هو المركز المهم الذي تشغله المرأة فيها ويظهر له من أول وهلة ان التقسيم المصطلح عليه في بلادنا بين العيشة الداخلية والعيشة الخارجية هذا التقسيم الذي يحول بين اشتراك الصنفين في جميع اطوار الحياة ومظاهرها ليس من القواعد المعترف بصحتها في تلك البلاد

فاذا ترك أوروبا وجمال في ارض اميركا شخص بصره مندهشا من المنظر العجيب الذي يراه واستولى الاستغراب على عقله الى درجة الاضطراب . فيجد ان تقسيمه العزيز قد اضمحل حتى كاد يكون معدوما ويرى النساء يشتغلن باسغال الرجال والرجال يعملن اعمال النساء بلا فرق ويسمع أهل اميركا يهتمون سكان أوروبا بانهم ظالمون نساءهم محضون بمحقوقهم كما يرمى الاوروبيون

المتاعب والمشاق التي بدونها لا يمكن الوصول اليها  
والا كان مثلنا كمثل اب مجنون خاف على ولده  
اذا مشى ان يسقط على الارض فمنعه المشي حتى كبر  
فماش مقمداً مشلول الرجلين

---

فشيئاً وترتقي ما كانتها العقلية والادبية . وكما ظهر عيب  
في أخلاقها يداوى بالتربية حتى تصير انساناً شاعراً بنفسه .  
ذلك لان النمو الادبي لا يختلف في سيره عن النمو

المادى . فكما ان الطفل يحبو قبل ان يمشى ويتعلم المشى  
بالتدريج فيمسك الحائط ويستند على يد مرضعته ثم

متى تعلم المشى وحده لا يحسنه الا بعد تمرين يدوم مدة  
أشهر يقع في خلالها مرات كثيرة كذلك الانسانية في

سيرها الأدي لا تنتقل من حال الى حال أحسن منها الا  
بالتدريج وبعد تمرين طويل يعرض لها فيه كثير من التعبط

والاختلال والتجارب المؤلمة حتى تستقيم في سيرها  
تلك سنة الفطرة . فلا يجوز لنا ان نتخيل ان في

امكاننا الخلاص منها ولا الفرار من قيودها . كذلك  
لا يكون من الحكمة ان نرجع الى الوراء او نوقف

تقدمنا الى الامام

فان أردنا ان نصل الى الغاية التي وجهنا اليها آمالنا

فما علينا الا ان نستسلم الى حكم السنة الالهية ونقبل

لها قيمة وكان الناس يستخفون ويهزؤون بالحرية بل ويتألمون  
 منها وينسبون اليها اختلال عيشتهم وعلل نفوسهم  
 فكم من مرة سمعنا باذتنا ان سبب شقاء مصر هو تمتعها  
 بالحرية والمساواة . ثم اعتاد القوم شيئاً فشيئاً على الحرية  
 وبدأوا يشعرون بأن اختلال عيشتهم لا يمكن ان يكون  
 ناتجاً عنها . بل له أسباب اخرى . وتعلق بنفوس الكثير  
 منا حب الحرية حتى صاروا لا يفهمون للوجود معنى  
 بدونها ولنا الأمل في اولادنا الذين يشبون على الحرية  
 التامة يجنون جميع ثمراتها النفيسة التي من أهمها تهيئة  
 نفوسهم للعمل . عند ذلك يعرفون جيداً ان الحرية هي  
 اساس كل عمران .

وهكذا يكون الحال بالنسبة لحرية النساء .  
 اول جيل تظهر فيه حرية المرأة تكثر الشكوى منها  
 ويظن الناس ان بلاء عظيماً قد حل بهم لان المرأة  
 تكون في دور التمرين على الحرية ثم مع مرور الزمن  
 تعود المرأة على استعمال حريتها وتشعر بواجباتها شيئاً

ان يكون لها الأ مثل ذلك الاثر في نفوس النساء،  
 غاية الامر ان كل تغيير يعرض على الانظار في  
 صورة مشروع يلتبس قبوله ولم يكن بدأ الناس فيه من  
 قبل هو في الحقيقة فكر سبق اوانه وقت عرضه. واهذا  
 لا يفهمه ولا يقدره حق قدره الا العدد القليل ممن يمتد  
 نظرهم الى ما يكمنه المستقبل من الحوادث  
 انظر الى حالة مصر : تاشت الامة المصرية أجيالا  
 في الاستعباد السياسي فكانت النتيجة انحطاط عام في  
 جميع مظاهر حياتها . انحطاط في العقول وانحطاط في  
 الاخلاق وانحطاط في الاعمال . وما زالت تهبط من  
 درجة الى اسفل منها حتى انتهى بها الحال الى أن تكون  
 جديما ضعيفا عليلا ساكنا يعيش عيشة النبات أكثر من  
 عيشة الحيوان . فلما تخلصت من الاستعباد رأت نفسها  
 في أول الامر في حيرة لا تدري معها ما تصنع بحريتها  
 الجديدة

وكان الكل لا يفهم لهذه الكرامة معنى ولا يقدر

(٦٩)

ولم يحل بهم شيء من المصائب التي يهددنا بها أولئك  
الكتاب والفقهاء ممن قومنا الذين اطالوا الكلام في  
شرح المضار التي تنتج عن اطلاق الحرية للنساء افكثيراً  
ما سمعنا منهم ان اختلاط الرجال بالنساء يؤدي الى  
اختلاط الانساب وانه متى اختلط الانساب وقعت  
الامة في الهلاك

فهذه ممالك اوربا جميعها نساءها ورجالها مختلطون  
في كل أطوار الحياة وفي كل آن . وهامم اخواننا وبناء  
وطننا المسيحيون واليهود الذين تركوا إعادة الحجاب من  
عهد قريب وربوا نساءهم على كشف وجوههم ومعاملة  
الرجال . فإين هم من الاختلال والهلاك ؟

لترك هذه النظريات الخيالية التي لا قيمة لها  
امام الوقائع

دلت التجربة على ان الحرية هي منبع الخير للانسان  
واصل ترقيه وأساس كماله الادبي وان استقلال ارادة  
الانسان كانت اهم عامل ادبي في نهوض الرجال فلا يمكن

فرق عظيم بين ما يحصل بالرضا وما يمد واجبا بمقتضى  
حق يدعى

بلغ من امر احترام الرجل الغربى لحرية المرأة ان  
بنات فى سن العشرين يتركن عائلاتهم ويسافرن من  
امريكا الى ابعدهم مكان فى الارض وحدهن أو مع  
خادمة ويقضين الشهور والاعوام متغيبات فى السياحة  
متنقلات من بلد الى آخرى ولم يخطر على بال أحد من  
اقاربهن ان وحدثهن تعرضهن الى خطر ما

كان من حرية المرأة الغربية ان يكون لها اصحاب  
غير اصحاب الزوج ورأى غير رأى الزوج وان تنتمى  
لحزب غير الحزب الذى ينتمى اليه الزوج . والرجل فى  
كل ذلك يرى ان زوجته لها الحق فى ان تميل الى ما  
يوافق ذوقها وعقلها واحساسها . وان تعيش بالطريقة  
التي تراها مستحسنة فى نظرها

ومع كل ذلك ترى نظام بيوت هؤلاء الغربيين  
قائما على قواعد متينة ، ونرى هؤلاء الامم فى نمو مستمر ،

والثانية تخدم الانسانية وتسوق المرأة في طريق التقدم  
العقلي والكمال الادبي

فقد رأيت مما ذكرناه ان ما اخترناه في تربية المرأة  
ووقاية عفتها ليس مبنياً على امر نظري لا يستند الى  
واقع بل هو مؤسس على المشاهدة والتجربة

وصل احترام الرجل الغربي لحرية المرأة الى حد  
ان الاب يحجر على نفسه فتح الخطابات التي ترد لبنته  
وكذلك الزوج رأى الاجدر به ان لا يفتح الخطاب  
الذي يرد الى امراته . وهذه المسئلة الاخيرة كانت  
موضوع بحث مهم بين اعضاء جمعية المحامين  
الفرنساويين من منذ عشر سنين تقريباً وتقرر فيها ان  
سلطة الزوج لا تبيح له ان يطلع على اسرار زوجته لان  
هذا العمل يعد تجسسا مهيناً لحرية المرأة وشرفها

نعم ان اغلب الزوجات يطلعن ازواجهن على ما  
يرد اليهن من الخطابات كما ان اغلب الأزواج يعرضوا  
المراسلات التي ترد اليهم الى زوجاتهم . ولكن يوجد



لا تخرج من الاديرة الا عند الزواج وكن جاهلات بكل ما يتعلق بالحب فكن يتلقين دروس الحب من غير الزواج في أغلب الاحيان . ذلك لان من القواعد العامة ان البنت التي لا تختار زوجها بل تكلف بقبوله تكون قد قطعت نصف المسافة التي توصلها الى الخطيئة فلا شئ يقي البنت من الفساد مثل اختيارها زوجها بنفسها بعد ان تعرفه وتقارن بينه وبين غيره من الرجال . « ان المرأة الطليانية وقال في وصف نساء وطنه : « ان المرأة الطليانية اقل من غيرها عفة لانها تتزوج غالبا من غير ان تحب زوجها وكذلك الحال تقريبا في نساء فرانسا »

أما النساء الانكليزيات والاميريكانيات والالمانيات فائتني على كمال عفتهن ونسبهن الى طرق تربيتهن وتمتعهن بالحرية والاستقلال في أعمال الحياة . فالحجاب والحرية وسيلتان لصيانة المرأة ولا يمكن ما أعظم الفرق بينهما في النتائج التي تترتب عليهما ، حيث ان الوسيلة الاولى تضع المرأة في صف الادوات والامتعة وتجنح على الانسانية .

حائل ليس في الامكان ازالته بل لانه قبيح في نفسه  
وليس من الممكن أن تصل المرأة الى هذه المنزلة  
الادبية مادامت في الحجاب ولكن من السهل جداً  
أن تصل اليها بالحرية

تصل اليها كما وصلت اليها غيرهما من النساء الغربيات  
فانا نرى انه كلما زيد في حرية المرأة الغربية زاد عندها  
الشعور بالاحترام لنفسها ولزوجها ولعائلتها

قال العلامة مانتجازا : « أعظم شئ يؤثر في اخلاق  
البنات الحرية التي تعطى البهن من عهد طفوليتهن »  
وقال « ان الفضائل الجليلة التي تشاهد عند النساء  
اللاتي يتمتعن بحريتهن لا يصح أن تنسب الى الاقليم .  
لاني وجدت هذه الفضائل في بيونس - آيرس التي  
تشتد فيها الحرارة ويصفوف فيها اديم السماء وتتمو فيها الثروة  
العمومية . ولو كان لطبيعة الاقليم مثل هذا الاثر في  
الاخلاق لفسدت أخلاق النساء في تلك البلاد . كانت  
البنات عندنا في القرن الماضي وفي مبدأ هذا القرن

كسب معاشها عند الضرورة . ويحرم الزوجين من لذة  
الحياة العقلية والادبية . ولا يأتي معه وجود أمهات  
مقدرات على تربية أولادهن . وبه تكون الامة كأنسان  
أصيب بالشلل في احد شقيه

ومزاياه تنحصر في امر واحد هو انه يقلل الزنا حيث  
يحول بين الصنفين ويمنع الاختلاط بينهما في الظاهر  
وان لم ينزع الميل اليه من النفوس . فيكون ما يسمونه  
عفة على حد ما قيل « ان من العصمة ان لا تجرد »  
فالا جساد في صيانة وأغلب القلوب في خيانه واما الحرية  
فمزاياها هي ازالة جميع المضار التي تنشأ عن الحجاب وسبق  
ذكرها وضررها الوحيد انها في مبدأها تؤدي الى سوء  
الاستعمال ولكن مع مرور الزمن تستعد المرأة الى ان  
تعرف مسؤوليتها وتحمل تبعه اعمالها وتتعود على الاعتماد  
على نفسها والمدافعة عن شرفها حتى تترى فيها فضيلة  
العفة الحقيقية التي هي ترفع النفس المختارة الحرة عن  
القبيح لا خوفاً من عقاب ولا طمعا في مكافأة ولا لوجود

اليها ويكون من شأنها ان ترتقى بنا الى ما هو خير منها؟  
 وبعبارة أخرى يوجد مذهبان احدهما ينصح الناس  
 بالتمسك بالحجاب والثاني يشير عليهم بابطاله فاي هذين  
 المذهبين يجب ان نختاره وما هو رائدنا في الاختيار حتى  
 لا نقع في عاقبة الخطاء؟

اذا استخدمنا عقولنا واتخذنا الفكر السليم رائداً لنا  
 فلا شك انا نختار المذهب الذي يتفق مع مصلحتنا  
 وتتوفر به منافعنا ولا نخشى بعد ذلك ان يقع اختيارنا  
 مخالفاً للحق والصواب لان المنافع الصحيحة التي تقوم  
 على قواعد الفكر السليم هي من الحق الذي يدافع عنه  
 الشرع ومن المستحيل ان حقاً من الحقوق التي يدافع  
 عنها الشرع يكون منشأً لضرر يعمد على الناس او ان فضيلة  
 من الفضائل يكون شرها اكبر من نفعها

فاي المذهبين يتفق مع مصلحتنا وتتوفر به منافعنا؟  
 اما الحجاب فضرره انه يحرم المرأة من حريتها  
 الفطرية . ويعنيها من استكمال تربيتها . ويعوقها عن

اخلاقنا وفسدت تربية اولادنا واسـتولى الحزن واليأس  
 على قلوبنا حتى ظن الكثير منا ان حياة الامم  
 الاسلامية اقتربت من نهايتها ولم يبق لها في التزام  
 العام نصيب من النجاح وأخذوا يتباهون بالمدينة  
 الاسلامية القديمة كلما تحدث الاوروبيون بعلومهم  
 وفنونهم ويفتخرون بالتمدن الغربي في الاعصر الماضية  
 كلما ذكر التمدن الغربي الحديث كما تسلى نفسها عجوز  
 وصلت الى سن الشيخوخة بتذكار جمالها مدة صباها  
 لكننا اليوم قد تغيرت حالتنا الاجتماعية تغيراً كلياً  
 فاصبحنا أحراراً ونحب الحرية وبدأ التعليم الصحيح في  
 ان ينتشر بين افراد امتنا وتهيأت عقولنا الى ادراك منزلة  
 الانسان في الوجود ومرتبة المرأة في البيت وشأنها في  
 العالم فهل يليق بنا بعد هذا ان نحافظ على العادات والتقاليد  
 القديمة ونحرص على عادة الحجاب ونتخذها وحدها  
 وسيلة لصيانة المرأة او يكون من الاليق بنا ان نبحث  
 عن وسيلة اخرى تكون موافقة لحالتنا الجديدة التي انتقلنا

حسن الادب أدنى وسيلة لصيانة العفة والتزوم عن الفحش  
ولكن ليسمح لى القارىء ان آتى على بقية فكرى  
فأقول :

بقى الحجاب الى الآن مستمراً للاسباب التى بينهاها  
اى لانه كان تابعاً لهيئتنا الاجتماعية الماضية من الجهة  
السياسية والعقلية والادبية : كنا محكومين بالاستبداد  
فظننا ان السلطة العائلية لا تؤسس الا على الاستبداد  
فسجننا نساءنا وسلبناهن حريتهن وملكننا وحدنا حق  
رفع قيد الزواج واستعملنا فى تربية اولادنا الامروالنهى  
والاخافة والضرب . وكنا جهالاً فتخيلنا ان المرأة لا  
وظيفة لها ولا عمل لها الا ان تكون موضعاً لشهوة الرجل  
وواسطة من وسائط مسرته وفاننا انها هى أيضاً انسان  
مثلنا وان لها الحق فى ان تسمى الى طلب سعادتها بالوسائل  
التى وضعها الشارع تحت تصرف الرجال لطلب سعادتهم  
فلما اسقطنا منزلة المرأة بغير حق انتقم الحق منا وشدد  
انتقامه . فخرنا كذلك من السعادة الحقيقية وانحطت

فهذه المعيشة التي تمر على البنت واهم ما فيها عندها  
الرجل وأحواله ونسبتها اليه وعلاقتها به وبعدها عنه  
وقربها منه هي بلا ريب اعظم مؤثر في مزاجها لانها  
تجعل للوظائف التناسلية الشأن الاول في حياتها  
ولتأكد الرجال من صحة ما ذكرنا وشمورهم بان  
النساء لا هم لهن ولا شاغل لعهولهن الا شأنهن مع  
الرجال لا ترى رجلا بين المصريين ياتمن زوجته ويرضى  
بمعاملتها لرجل اجنبي عنها . وفي بعض البيوت لا ياتمن  
الرجل شقيقه ولا يسمح لامراته ان تكلمه وتكشف  
وجهها عليه ولو كان حاضرهم ما وكذلك في كثير من  
العائلات لا يختلط الرجل بشقيقة زوجته

وليس من رأى ان اعيب الرجال والنساء على سوء  
ظن بعضهم ببعض الى هذا الحد . لان عوائدنا واخلاقنا  
وتريبتنا الحالية قضت عليهم بان لا يثق بعضهم ببعض  
وجعلت الحجاب الوسيلة الوحيدة لصيانة النساء ولم تجعل  
من الدين ولا من المرؤة ولا من كرم الخلق ولا من

اعجبها من بينهم .

ومنها حضور الاطفال في حفلات الافراح  
ومشاهدتهم رقص الباغيات وجماعهم الاغاني التي تدور  
كلها على الحب الشهواني

بمثل هذه المناظر وبمثل تلك العبارات تنبذت البنت  
الصغيرة الى ما كان يجب ان تغفل عنه وينبت فيها  
الميل الشهواني

ثم اذا عرض ان بنتاً عانت صبياً في اثناء اللعب  
يوجه اللوم عليها من اهلها ويقال لها انها اتت امرأ فاضحاً  
فاذا سألت البنت اى عيب في ما فعلت اجابها المستول  
بما يعين له وما تسمح له به تربيته وكلما تقدمت الصبية  
في السن زاد الحجر عليها وابعادها عن مخالطة الرجال وفي  
هذا من استلفات ذهنها الى ما بين الصنفين من  
الاختلاف ما يضطرها الى البحث في هذا الامر الذي  
يشغلها ويشغل اهلها الى هذا الحد فسأل عنه من تشق به من  
زميلاتها فتعلم منهم بعضه وتشتغل مخيلتها بفهم الباقي



الآخري التي لا سبب لاختلاف الرأى فيها الا اهتمام  
بعضنا بالانتصار على بعض وعدم اهتمام احداً منا بان يفهم  
ما يقول الآخر

او امكنا ان نفصل جميع المؤثرات المادية والادبيه  
التي تتكون منها احساسات الطفل وامياله لرأى القارىء  
بنفسه ان البنت التي تربى في عائلة مصرية لا يمكن ان  
تنمو فيها خلال الفضائل ويكفيها ان نذكر هنا امثالا  
من هذه المؤثرات التي تقع في العائلات المتوسطة التي  
هى أحسن الطبقات ادباً :

فمنها ان اقارب الاطفال لا يتحاشون غالباً عن تسمية  
كل شىء باسمه الحقيقي ويذكرون الوقائع التي تجرى بين  
الزوج وزوجته أمامهم بدون ان يخطر على بالهم ان  
يأمروهم بالخروج في هذا الوقت الى مكان آخر وأيضاً  
أول شىء يأتى على لسان الزائر اذا صادف بنتاً صغيرة فى  
بيت هو أن يسألها اذا كانت تريد أن تزوجه أو تزوج  
بابنه الصغير واذا كانوا عدة زائرين سألها كل واحد عن

الى العمل والراحة تدعو الى الراحة

ثم ان الطريقة التي يربي بها الاطفال في البيوت

لها مدخل عظيم في انحطاط الآداب أيضاً

يمكنني ان اجاهر هنا بلا تردد ان صبيّاً من أولادنا

مذكراً كان أو انثى لا يزيد عمره عن عشر سنوات قد

يحشد انى ذهنه من الالفاظ والصور المحركة للشهوة

وينمو في قلبه من الميل مع ما تدعو اليه غريزة التناسل

ويبلغ من ذلك ما لا يبلغه شاب أو شابة في سن الخامسة

عشر أو الثامنة عشر من ابناء البلاد الاوروية

وليس لاختلاف الاقليم دخل في ذلك وان كان له

أثر فهو اثر ضعيف وانما الاثر الحقيقي فهو لطريقة

تربية الاطفال

لو كان الرجال الاذكاء والمتعلمون منا يلاحظون

ما يقع ويقال امامهم كل يوم لو كانوا يفتكرون في ما

يعرض على اعينهم وآذانهم في الطرق والمجتمعات في كل

آن لا تفقنا جميعاً في هذه المسئلة وغيرها من المسائل

فاذا اقترن الحجاب بالبطالة ولا يمكن انفكاك  
 الحجاب عنها تبهما قتل كل فضيلة في نفس المرأة  
 هذا التلازم بين الحجاب والبطالة لا يروق لبعضنا  
 التصريح بوجوده وربما يعجبهم ان يقال ان نساءنا  
 المحجبات عندهن واجبات عديدة تشغل اوقاتهم وان  
 منحهن الحرية المطلوبة قد يكون سبباً في تحويل عنايتهن  
 عن هذه الواجبات وتوجيهها الى امور لا يعود منها نفع  
 على المرأة ولا على بيتها . ولكن نحن لايهمنا الا تقرير  
 الحقيقة كما هي نحن نقول ان وجود الواجبات شيء  
 والقيام بها شيء آخر وان نساءنا اللاتي لا عمل لهن ولا  
 شأن لهن خارج المنزل لا يجدن من الوقت ما يسهل  
 القيام بواجباتهن لزوجهن واولادهن وانهن تركن  
 شؤون الحياة البيتية الى غيرهن بخلاف النساء الغربيات  
 التي اتسعت دائرة اعمالهن حتى كادت تساوي دائرة اشغال  
 الرجال فانهن يجدن مع ذلك الوقت الكافي لتأدية جميع  
 واجباتهن المنزلية . وما سبب ذلك الا ان العمل يدعو

كل ميل تقتضى مدافعتة جهداً ومشقة  
لا شك ان قوة البنية وسلامة الاعصاب هما من  
اهم اعوان الانسان على ضبط نفسه وان ضعف البنية  
واعتلال الاعصاب هما من اهم الاسباب التى تجعل  
الانسان آلة تنعّب بها الشهوات والاهواء  
فان كانت حاجة الى الاستشهاد برأى بعض العلماء  
على ما نقول فانى اتقل ماقاله رجل اجاد درس علم التربية  
وهو الدكتور فلورى

قال فى كتابه المسمى جسم وروح الولد: «ان آلة  
العقل هى المنع فكل انحراف يعرض فى الصحة البدنية  
يؤثر فيه فاذا استوفينا شروط صحة الجسم امكنا ان نحصل  
سلامة الارادة وقوة الحكيم ونحسن فى أخلاق المرء  
وآدابه»

فالنساء المسجونات يحسبن قبل كل شىء نساء  
مريضات ولهذا فهن أشد تعرضاً لمطوعة شهواتهن من  
النساء اللواتى يتمعن بحريتهن

تكون عفيفة ولهم الحق في ان يطلبوا منها ان تكون متحلية بهذه الفضيلة ولكنهم بذلوا ما في وسعهم لمحو هذه الفضيلة وجعلها من المستحيلات. وذلك لان نظام المعيشة عندنا يبعث في المرأة شدة الميل الى الشهوات فان سجن المرأة والتضييق عليها في وسائل الرياضة يعرضها دائماً لضعف الاعصاب ومتى ضعفت الاعصاب اختل التوازن في القوى الادبية. هذه حقيقة يلزم ان يعترف بها كل انسان فان من الحقائق الثابتة ان الجسم اذا كان قويا وكان القلب يرسل الدم الى جميع خلايا الجسم تشعر نفس الانسان بقوتها فكما لا تنهزم عند ملاقات المصاعب والمتاعب المادية فهي لا تضعف عن مقاومة الالهواء والنزعات الرديثة ومن المشاهد ان التعب الشديد والمرض المضعف يعقبهما فتور في الجسم وانحلال في القوى يؤثران في الارادة وفي العزيمة فكما اذا حاول الجسم نهوضاً لا يكاد يستطيعه فيسترسل مع الميل الى الراحة كذلك تشعر النفس بعجزها عن ضبط أهوائها ومقاومة

وجب نحو اسمها من قائمة النساء الفاضلات . فان كل  
 قضية لا ترجع الى احد انواع البديهيات المعروفة عند  
 اهل النظر لا تصح ان تكون مقدمة لدليل او ائتك جماعة  
 لو طواب الواحد منهم بدليل على ما يقول لما وجدنى  
 خزانة عنقه الا ان الرجل والمرأة هما دائماً في طوع شهواتهما  
 هكذا شأنهم يستملون من انفسهم الاخلاق التي جبلوا  
 عليها ويمتقدون انها اخلاق الانسانية كلها فهم في نظر  
 انفسهم يمثلون الرجل من حيث هو والمرأة على حالتها  
 المعهودة اليوم تمثل في نظرهم المرأة من حيث هي . وما  
 دروا ان الرجال يختلفون في اخلاقهم ومزايهم الى ما  
 لا نهاية له على حسب الزمان والمكان وطرق التربية  
 وان المرأة تختلف خلائقها وآدابها على نحو ما يختلف به  
 الرجال

هذا الاختلاف الذي يعرض في حياة النساء الادبيه  
 ينشأ غالباً من اختلاف الماديات

اول شيء يطلبه الرجال عندنا من المرأة هو ان

ان المرأة الالمانية تخون زوجها سبع مرات ، والبلجكية  
 ست مرات واربعمة أخماس المرة ، والهولندية أربع  
 مرات ، والاطليانية مرة وخمسة أسداس ، والفرنساوية  
 مرة واحدة ١١ وهكذا الى أن وصل الى التركية والمراد  
 بها الشرقية فقال انها لا تخون زوجها الا عشر المرة  
 الواحدة ١١٢

فقد انتهى الهذيان بالمعتمد على مثل هذا الاحصاء  
 الى الاعتقاد بان ما نشر في تلك الجريدة على سبيل الهزل  
 هو من «الابحاث العلمية الدقيقة المستندة على الارقام»  
 ولم يمر بفكره ان الحصول على احصاء في مثل هذا  
 الموضوع هو من الامور المستحيلة لان وقائع الزنا لا يمكن  
 احصاءها الا اذا وصلت الى المحاكم ومعلوم انه لا يصل  
 الى المحاكم منها الا النادر

ولا نسند رأينا أيضاً الى قضايا مسلمة تؤخذ من  
 غير دليل كما يفعل أولئك الذين يدعون ان المرأة متى  
 جلست مع الرجال في مكان واحد مدة خمس دقائق

ضرر محتمل الوقوع تجريد الانسان عن حرите لوجب  
وضع تسعين في المائة من الرجال تحت قانون الحجاب  
منعاً لهم من الفساد

بل لو قبلت المرأة ان يوضع عليها الحجاب لم يعتبر  
قبولها هذا التزاماً صحيحاً بحيث يمتنع عليها بعد ذلك ان  
تحل عقده لانه التزام باطل لمنافاته للطبيعة البشرية  
والقواعد الشرعية

على ان ما قيل ويقال من أن حرية النساء تعرضهن  
للخروج عن حدود العفة كله كلام لا أصل له يطله  
التجارب وينبذه العقل اذ التجارب المؤسسة على  
المشاهدات الصحيحة تدل على ان حرية النساء تزيد في  
ملكتهن الادبية وتبعث فيهن احساس الاحترام  
لا نفسهن وتحمل الرجال على احترامهن

ولا نذهب في تأييد هذا الرأي مذهب غيرنا  
بالا تيان باحصاء مخترع لاحتياقه له نشره بعضهم في الجرائد  
الهزلية تفككة للقراء ونسب فيه الى أحد العلماء انه شاهد



حتى جعلها اشد من مسئولية الرجل فاذا استهوى رجل  
 عمره اربعين سنة بنتا عمرها خمسة عشر سنة وانتهز فرصة  
 ضعفها وفسق بها يحكم الرأى العام ان هذه البنت الصغيرة  
 هى التى فقدت شرفها ويهمل شأن الرجل كأنه لم يأت  
 منكراً أليس ذلك لان الشرع والرأى العام يعترفان ان  
 المرأة مسؤولة عن اعمالها؟ فان كانت مسؤولة بهذه الدرجة  
 أليس ذلك لان الشرع والرأى العام يعترفان أيضا بانها  
 حرة مختارة؟

لأظن ان عقلا يقبل ان تعتبر المرأة انسانا كامل  
 العقل والحرية من جهة استحقاقها لعقوبة الشنق اذا  
 قتلت ثم تعتبر انها ناقصة العقل بحيث تحرم من حرمتها  
 فى شؤون الحياة العادية !

اعتقاد الرجل ان امرأته اذا منحت حرمتها تسمى  
 استعمالها لا يبيع له حرمانها منها لانه لا يباح لانسان  
 ان يتعدى على آخر بسلب حرمة والسيطرة على ارادته  
 بحجة انه يريد منعه من ارتكاب خطيته ولو جاز لدفع

هذا النحو نخولت للرجل مثل هذه السلطة على زوجته  
وسميتها سلطة الزوجية ومع ذلك فكل انسان يرى النساء  
الغريات متمعات بحريتهن

لنفرض جدلا ايضا ان حجاب النساء وسيلة  
لصياتهن عن الفساد فهل يكفي ذلك لحرمانهن من  
حريتهن ؟

اذا كانت معاملة الرجال للنساء مجلبة للفساد فلماذا  
تداس حرية المرأة وتحترم حرية الرجل ؟ هل يختلف نظر  
المدل بالنسبة الى الرجل والمرأة وهل يوجد حقان حق  
للرجال وحق للنساء ؟ أليس كل ذى اختيار موكولا  
الى اختياره يتصرف به كيف يشاء متى لم يخرج فى  
عمله عما حدده له الشرع والقانون ؟

نرى ان مسئولية المرأة فى هذه الدنيا وفى الآخرة  
لا تقل أمام الشرع عن مسئولية الرجل ونرى ان القوانين  
لا تعافيهما من العقوبات اذا ارتكبت جريمة ولا تقضى  
بتخفيف عقوبتهما بل نرى ان الرأى انعام جسم مسئوليتها

جدلا ان عقل المرأة اقل من عقل الرجل فهل نقصان العقل في شخص يبيح ان يجرد من حرите؟ أما يوجد بين أفراد الرجال اختلاف في العقول اكبر من الاختلاف الموجود الآن بين الرجال والنساء؟ أليس عقل المصرى يختلف باختلاف طبقات الامة المصرية ومع ذلك نرى جميع الرجال متساويين في تمتعهم بحريتهم البدنية؟ ألا يوجد بين نساءنا المصريات من هن اكبر عقلا واكمل اخلاقا من ازواجهن أو ابائهن أو ابنائهن؟

لا يصح أن يكون اختلاف العقول سبباً لتجريد الانسان عن حرته بل الذي يجريه الاختلاف انما هو أن يملو فكر على فكر فيقوده بقوة الاقناع أو تسود ارادة على ارادة بقوة الاستمالة حتى تهخرها على طوع منها وما قررتة الشريعة الاسلامية من حقوق المرأة وقد اشرنا اليه في ما تقدم يقودنا الى ان هذه الساطة الادبية هي التي ترمى اليها الآية الشريفة التي ذكرت ان الرجال قوامون على النساء وقد نحت الشرائع الاوروبية

ان يقال انه كلما كان ولدها سيء البخت زاد حبهاله  
والاب على عكس ذلك

فالمرأة في رأى أعظم العلماء وادفهم بحثامساوية  
للرجل في القوى العقلية وتفوقه في الاحساسات  
والمواطف وانما يظهر لناظرو وجود فرق عظيم بينهما في  
العقل لان الرجال اشتغلوا اجيالا عديدة بممارسة العلم  
فاستنارت عقولهم وتقوت عزيمتهم بالعمل بخلاف النساء  
فانهن حرم من كل تربية فما يشاهد الآن بين  
الصنفين من الفروق هو صناعى لا طبيعى . لانريد  
بهذا التساوى ان كل قوة في المرأة تساوى كل قوة في  
الرجل وكل ملكة فيها تساوى كل ملكة فيه وليكنناريد  
ان مجموع قواها وملكاتها تكافأ مجموع قواه وملكاته  
وان كان يوجد خلاف كبير بينهما لان مجرد الخلاف  
لا يوجب نقص أحد المتخالفين عن الآخر

فملى أى دليل علمى يستند الرجال لاستعباد النساء  
وبأى حق جاز لهم ان يحرموهن من حريتهن؟ لنفرض

منه فالحب عند الرجل ميل شهواني الى استيفاء اللذة  
 الجسدية والحب عند المرأة وداد قلبي غايته امتزاج  
 الروحين واستدلال على ذلك بان الرجال يستعملون جميع  
 انواع الحيل والخديعة مع النساء لاستماتهن والكثير  
 منهن مع ذلك يدافع عن عرضه ويتغاب على شهواته  
 وقال انه اذا عكس الامر وفرضنا انه أبيض للنساء ان  
 يستعملن مع الرجال لاستماتهم ما يستعمله هؤلاء الآن  
 مع النساء فربما لم يستطع رجل ان يحافظ على عفته  
 وقال ان حب المرأة للخير من المألوفات المشهورة  
 اما الرجل فيسود عنده حب النفس لذلك تراه يفكر  
 اولاً في نفسه ثم في اولاده بخلاف المرأة فهي تفكر  
 اولاً في غيرها ثم في نفسها فهم الرجل ان يكون سعيداً  
 وهم المرأة ان تجعل الغير سعيداً وهذا الاحساس يشاهد  
 في جميع أعمال الحياة صغيرها وكبيرها وأعظم مثال  
 لا يثار المرأة غيرها على نفسها هو حب الام لولدها. فهي  
 تحبه اكثر مما يحبه أبوه وتحبه مهما كانت عيوبه بل يمكن

« من الرجل ولا ارقى منه وانما تختلف عنه لان لها »  
 « وظائف تقوم بها غيروظائف الرجل »

وقد بين هذا العالم الاختلافات الدقيقة التي توجد  
 بين الرجل والمرأة بالنسبة للاحاساسات والعواطف فقال  
 ما ملخصه : ان السبب في اهم ما تختلف فيه المرأة عن  
 الرجل من الجهة الادبية هو الاستعباد الذي استولى على  
 المرأة زماناً طويلاً حيث تغلب الرجل على المرأة في الطبقة  
 السفلى بقوة عضلاته وفي الطبقات الاخرى بعلومه معارفه  
 وتربيته . وهذه المنزلة المنحطة قضت على المرأة بان  
 تستعمل حيل الرقيق لتدافع عن نفسها ويظهر ان الرجل  
 يمتاز عليها بقوة عزمته وزيادة الثبات في اعماله . ولكنها  
 تمتاز عليه في قوة الاحساس وتحمل الآلام وهي تصبر على  
 الامراض والعمليات الجراحية صبراً يعجز عنه الرجل  
 وربما كان السبب في ذلك انها اقل اثره من الرجل او  
 انها اعتادت على الاستسلام والخضوع  
 وتمتاز المرأة على الرجل ايضاً بانها اضعف شهوة

وكان بينهم كثير من النساء والذي شاهدهته بنفسى هو انه لا يوجد فرق بين الصنفين وكانت دائماً نسبة الدرجات بينهما واحدة . »

وقال العلامة ما انتجازا المدرس لعلم الانسان والمضو في مجلس الشيوخ الطليانى في كتاب جديد سماه فسلوجيا المرأة « جميع المناقشات التى تدور على خفة مخ المرأة فى الوزن وصغر حجمتها وضعف اللفايف المخية تلك المناقشات عبت اذا أريد ان يتوصل بها على اختلاف القوى العقلية بين الصنفين » ثم قال :

« ما اكفر الرجل الجاه كبره ان يزور حتى فى علم »  
 « التشريح فلم يكتف يان يغتصب المحل الاول فى العالم »  
 « بل اراد ان يبرهن ان المرأة أقل منه فى الانسانية »  
 « وانها فى مرتبة بين القرد والانسان . ولهذا فيكون »  
 « له الحق فى ان يجردها عن الحقوق التى منحها نفسه »  
 « كانه نسى ان الذات التى يريد ان يحط بقدرها هى »  
 « امه . والحقيقة ان المرأة امام علم التشريح ليست أقل »

ناشئة عن طرق تربيتها . تلك هي المسئلة التي يلزمنا حلها أن نرجع الى الاصول العلمية لنعلم ما تقرره فيها رأى العلماء انه لا يصح الحكم على طبيعة المرأة ومبلغ استعدادها للكمال الانساني بانثارها التي صدرت منها الى الان . وانما يصح ذلك بعد ان تملك من حريتها ما يملك الرجل وبعد ان تستغل بتثقيف عقلها مدة من الزمن تساوى المدة التي قضاها الرجال في تربية ملكاتهم العقلية والادبية غير انهم حكموا بان المرأة ليست مثل الرجل في الخلقه وانه يوجد بين الصنفين اختلافات تشريحية وفسلوجية يمتاز بها كل صنف عن الآخر ولكن ليس في هذه الاختلافات ما يدل على ان أحد الصنفين ارقى من الآخر أو اخط منه

ذلك ما يستنتج من كلام العلامة جاك لوريت في كتابه المسمى المرأة امام المعلم

وقال الاستاذ فرشلو : « انى القيت دروسا كثيرة في العلوم الحسابية وعلوم الاخلاق والفلسفة اطلبة العلم



تمزيق الحجاب ومحو آثاره

ولما كانت نهمة المرأة بنقصان العقل هي الحججة التي  
اتخذها الرجال لاستعبادها وجب علينا ان نبحث في  
طبيعة المرأة لنعلم ان كانت كما يقال احط من طبيعة  
الرجل ام لا

اذا سألنا الراى العام فالجواب سهل معلوم. ولكن  
الراى العام لا يصح ان يكون له صوت في مسألة علمية  
كده. لان مبنى الراى العام القضايا المشورة التي  
صاغتها العادة وقررتها الالفه بدون بحث ولا تنقيب  
فهي مرجع العامة في احكامها يردون اليها كل حادث  
طبيعى أو اجتماعى لا يعرفون اسبابه والراى العام يعتبر ان  
تغيير كل عادة الفها مخالف للطبيعة لانه لا يفرق بين العادة  
والطبيعة حيث يظن ان ما هو حاصل الان كان كذلك  
وسيقى الى الابد

ولا ريب ان المرأة اليوم احط من الرجل في الجملة  
ولكن علينا ان ننظر هل هذه الحال طبيعية لها أو

الحركة الى غايتها ظهر لهم انهم صاروا الى الطور الذي  
كانوا من قبل ينكرون

فلما بطل حق ملكية الرجال على النساء اقتضت  
سنة التدريج ان تعيش النساء في حالة وسط بين الرق  
والحرية حالة اعتبرت فيها المرأة انها انسان لكنه ناقص  
غير تام . كبر على الرجل ان يعتبر المرأة التي كانت ملكا  
له بالامس مساوية له اليوم فحسن لديه ان يضمها في  
مرتبة اقل منه في الخلقة . وزعم ان الله لما خلق الرجل  
وهبه العقل والفضيلة وحرمها من هذه الهبات وانها  
لضعفها وقلة عقلها وميلها مع الشهوات يلزم ان تعيش  
غير مستقلة تحت سيطرة الرجل وان تنقطع عن الرجال  
وتحتجب بان تقصر في بيتها وتستروجهما اذا خرجت  
حتى لا تفتنهم بجملها او تخدعهم بحيلها وانها ليست اهلا  
للرقي العقلي والادبي فيلزم ان تعيش جاهلة

وذلك هو السر في ضرب الحجاب وعلّة بقاءه الى  
الآن فاول عمل بعد خطوة في سبيل حرية المرأة هو

والى عموم النساء لان كل امرأة هي زوجة او كانت  
زوجة أو مستعدة لان تكون زوجة

فالحجاب هو عنوان ذلك الملك القديم وأثر من  
آثار تلك الاخلاق المتوحشة التي عاشت بها الانسانية  
أجبالاً قبل أن تهتدى الى ادراك ان الذات البشرية  
لا يجوز أن تكون محلاً للملك لمجرد كونها انثى كما اهتدت  
الى أن تفهم ان سواد البشرية ليس سبباً لان يكون  
الرجل الاسود عبداً للابيض

وايس من الغريب بقاء الحجاب بعد زوال السبب  
الذى أوجده أى بعد خروج المرأة عن ملكية الرجل  
فقد جرت سنة الله في خلقه بان الانتقال من طور الى  
طور آخر لا يكون دفعة واحدة وانما يحصل بضروب  
من التغيير ربما لا يحس بها من كانوا موضوعاً لها فكثيراً  
ما يظن الناس استحالة انتقالهم عن حالة من الحالات  
مع انهم سائرون عنها منتقلون الى غيرها متحولون الى  
أردأ أو أحسن منها وهم لا يشعرون . حتى اذا انتهت

وأفطم اشكال الاستعباد . ذلك لان الرجل في اعصر  
التوحش كانوا يستحوذون على النساء ، أما بالشراء كما بيناه  
وأما بالاختطاف

وفي كلتا الحالتين كانوا يعتبرون أنفسهم مالكيين  
نساءهم ملكا تاما وتبع ذلك ان الرجل جرد امرأته عن  
الصفات الانسانية وخصصها بوظيفة واحدة وهي ان  
تمتعه بجسمها فاقرها في مسكنه وألزمها بان تلتزمه ولا  
تخرج منه حتى لا يكون لأحد غيره حظ في ان يتمتع بها  
ولو بالنظر أو الحديث . شان المالك الحريص على ملكه  
الذي يريد ان يستأثر بجميع مزايا المتاع الذي يملكه  
ولما كان من المحال ان لا تعرض ضرورة تقضى على  
المرأة بالخروج من منزلها في بعض الاحيان أراد ان  
يتبعها بالحجاب حيث سارت فالزمها بستر وجهها اذا  
خرجت

هذا الحجاب الذي قررہ الرجل في الاصل الى  
زوجته امدى بعد ذلك الى البنات والامهات والاخوات

رفعت ولا يضع فيه الا ما وضعت فهل مع هذا كله يقال  
 ان المرأة مستترقة للرجل ؟ نعم لا ننكر شيئاً من هذا كله  
 ولكننا ننكر ان يكون ذلك عاماً عند جميع الناس كما ننكر  
 انه ناشئ عن احترام الرجل للمرأة واعتقاده باستحقاقها  
 لهذه المعاملة بما لها من العقل والادب وما كسبته من  
 حق الصحبة الناشئ عن عقد الزواج . وانما يرفع المرأة  
 احياناً الى تلك المنزلة افراط في الشهوة من الرجل يحدته  
 براعة في الجمال او تفنن في ضروب الاحتيال . فهي سيدته  
 ما تعلقت بها شهوته فاذا خمدت نيران الشهوة وعاد ما  
 بينهما الى المعروف مما بين رجل وزوجته سقطت المرأة  
 من أوج عزتها الى حضيض الذلة ولبست ثياب الاسترقاق  
 سيقال ايضاً ان حرية المرأة تستلزم في الواقع ان  
 يعاملها الرجل بالاحترام وان لا يضغط على ارادتها ويفكرها  
 وان يسمح لها بالخروج للزيارة والرياضة ولكن ما العلاقة  
 بين حريتها وكشف وجهها واختلاطها بالرجال ومعاملتها  
 لهم . فالجواب ان لزام النساء بالاحتجاب هو اقصى

عندنا ان البرقع والخبرة هما عنوان الجهل والضعف وآية  
الانخداع ورأوا في عائلاتهم ان المرأة ليست محترمة ولا  
تحس باحترامها لنفسها وانها سهلة القيادة لينة المغز  
تبعه لاول اشارة يديها او كلمة يرميها وانها تخشى الرجل  
ولا تجرأ على تأديبه فاستخفوا بها وتجاسروا على امتنانها  
وتعودوا على ان لا يحترموا امرأة مبرقة الا اذا وجد  
معها رجل ولو كان خصيا !

فهل هذه الذات الحقيمة متمتعة بحريتها ؟ وهل  
مع هذا الامتياز تعد نفسها نفس انسان ؟

سيقول قوم كيف لمدع ان يدعى ان المرأة  
مستعبدة عندنا مع انا نراها في مكاة من السلطان على  
قلب الرجل مناجحيت تسخره لارادتها وهو اوها وتصرفه  
في اعماله لقضاء رغائبها وان الرجل ليتجشم الاسفار  
ويتردد بين المدينة والاخرى ليتقى لزوجته لباساً او يختار  
لها نوعاً من انواع الحلي يرضى به هو اها ويقضى به رغبتها  
ليستجلب رضاها ثم هي سيدة بيته لا يوقع فيه الا ما

انظر الى امرأة تمشى في الطريق ومعها خادم تجرد  
في نفسك لأول وهلة ان الخادم يشعر من نفسه انه هو  
احب الارادة والرأى والقوة يمشى امامها وهي وراءه  
وكأن لسان حاله يقول انى أوئمت على هذه الذات  
الجاهلة الضعيفة وعلى ملاحظتها وحراستها وحماتها  
لاحظ ان امرأة محجبة تمر على جماعة من اهل  
الخلاعة تجرد انهم لا يتحاشون من اسماعها كل ما يخطر  
على بالهم من العبارات المخلة بالادب وفي بعض الاحيان  
يترامون عليها باجسامهم ويلمسونها بايديهم مع انه لم  
يصدر من تلك المرأة حركة يرتاب فيها وتغريهم بالاندفاع  
عليها والتهافت على هذه الافعال القبيحة . لم تصبر المرأة  
على مثل هذا الاعتداء من الرجال ساكنة خائفة لا تنبث  
الى دفاع ولم لا يجرأ هؤلاء الرجال على اتيان ما يأتونه  
من الافوال والاعمال الشنيعة مع امرأة سافرة ؟ هل  
ذلك لان المرأة المبرقعة اشد فتنة للرجال بجمالها من  
النساء السافرات ؟ كلا . وانما وقر في نفوس الرجال

تسخ هيئتها وتفقد الشكل الانساني الطبيعي في نظر  
كل رجل ماعدا سيدها ومولاها

وبالجملة فالمرأة من وقت ولادتها الى يوم مماتها هي  
رقيقه لانها لاتعيش بنفسها ولنفسها وانما تعيش بالرجل  
وللرجل وهي في حاجة اليه في كل شأن من شؤونها فلا  
تخرج الا مخفورة به ولا تسافر الا تحت حمايته ولا تفكر  
الا بعقله ولا تنظر الا بعينه ولا تسمع الا باذنه ولا تريد  
الا بارادته ولا تعمل الا بواسطته ولا تتحرك بحركة الا  
ويكون مجراها منه فهي بذلك لاتعد انساناً مستقلاً بل  
هي شيء ملحق بالرجل

انظر الى صبي لا يزيد عمره عن خمس عشرة سنة  
وقارن بينه وبين والدته تجد انها احط منه في العقل  
والمعلومات والتجارب وانه اكبر منها شأن ليس فقط فيما  
يتعلق بالامور الخارجة عن المنزل بل في نفس بيتها .  
كيف لا وهو الذي يأمر وينهي فيه وهو الذي ينوب  
عنها في اشغالها وادارة بيتها وتدير ثروتها



خطيبتة شيئاً لان الرجل يمكنه ان يتخلص من عواقب جهله بأن يطلقها في أى وقت شاء او تزوج غيرها مثني وثلاث ورباع أما المرأة التي تبغى برجل لا ترضى نفسها بمعاشرته فليس لها الى الخلاص منه سبيل . فتزويج المرأة برجل تجهله وحرمانها حق التخلص منه مع اطلاق الارادة للرجل في امساكها وتسريحها كيف يشاء هو استعباد حقيق والمرأة التي يجب ان لا تتعلم الا فروض العبادة كما يقول الفقهاء ومن اخذ عنهم او يجب أن لا تتعلم الا مقداراً محدوداً من مبادئ بعض العلوم تحسب رقيقة لان قهر الفرائز الفطرية والمواهب الالهية على لزوم حد مخصوص ومنعها عن النمو الى ان تبلغ الكمال الذي أعدت له يعد استعباداً معنوياً

والمرأة التي تلزم بستر اطرافها والاعضاء الظاهرة من بدنها بحيث لا تتمكن من المشى ولا من الركوب بل لا تنفس ولا تنظر ولا تتكلم الا بمشقة تعد رقيقة لان تكليفها بالاندراج في قطعة من قماش انما يقصد منه ان

الرأى عندهم لرأوا من الواجب عليهم أن يسجنوا نساءهم  
وان لا يسمحوا لهنّ بالخروج الا لزيارة الاقارب في  
العيدين ورأوا من الافضل أن لا تخرج من بيتها في  
جميع الاحوال وقد عدوا من مفاخرهم ان لا تخرج المرأة  
من خدرها الا محمولة الى قبرها؟

ولا شك ان تقرير الحق للرجل في سجن زوجته  
ينافى الحرية التي هي حق طبيعي للانسان

والمرأة التي يسوقها والدها كالبهيمة الى زوج لا تعرفه  
ولا تعرف شيئاً من أحواله معرفة تسمح لها بان تتبين  
حقيقة أمره وتحصل لنفسها رأياً فيه لا تعتبر حرّة في نفسها  
بل تعد في الحقيقة رقيقة. ومن المعلوم ان عموم الآباء في  
جميع طبقات الامة يزوجون بناتهم على هذه الطريقة  
فيتخبرون مع الخطاب ثم يعقدون عقد الزواج اماهنّ  
فلا رأى لهنّ في هذا الامر الخطير الذي تتعلق به  
سعادتهنّ وشقائهنّ في المستقبل. ولا يقال ان حال  
الرجل في ذلك كحال المرأة اذ هو أيضاً لا يعلم من أحوال

نعم ان معاملة الرجل للمرأة على هذه الطريقة الفظة  
المستهجنة تشاهد في الغالب في بعض الطبقات خصوصاً  
في بلاد الارياف لكن استعباد المرأة في الطبقات  
الاخرى وفي المدن موجود على اشكال اخرى  
فالرجل الذي يحجر على امرأته ان لا تخرج من بيتهما  
لغير سبب سوى مجرد رغبته في ان لا تخرج لا يحترم  
حريتها فهي من هذه الجهة رقيقة بل سجينه والسجن  
أشد سلباً للحرية من الرق - ولا يقال ان عدد الرجال  
الذين يسجنون نساءهم صار اليوم قليلاً فإنه وان قل بالنسبة  
الى الماضى لكن كلنا نعلم ان من النادر جداً ان تكون  
المرأة متروكة لارادتها واختيارها في ذهابها واياها على  
ان كلامنا الآن انما هو في مقام المرأة في نفس اغلب  
الرجال وما يجب عليها في اعتقادهم ان تعمل به وان  
تكون عليه فسواء قل احتباس المرأة أو لم يقل فالمرأة  
المقصورة في بيتها التي لا تفارقه تعتبر عندهم خير امرأة  
ولو أخذ المسلمون برأى الجهال من فقهاءهم وهم اهل

ويتساءلون هل هنّ في قيد الرق ولو فهموا معنى الحرية لما اختلفوا معناني الرأي

ليس مرادنا ان نقول ان المرأة اليوم تباع وتشتري في الاسواق ولاكن ليس الرقيق هو الانسان الذي يباح الاتجار به فقط بل الوجدان السليم يقضى بان كل من لم يملك قياد فكره وارادته وعمله ملكاً تاماً فهو رقيق لا اظن ان القاريء المنصف يختلف معي في الرأي ان قلت ان المرأة في نظر المسلمين على الجملة ليست انساناً تاماً وان الرجل منهم يعتبر ان له حق السيادة عليها ويجرى في معاملته معها على هذا الاعتقاد والشواهد على ذلك كثيرة

فليس من الادب في كثير من المائلات ان لا تقبل المرأة يد الرجل عند السلام عليه ولا من الادب ان يجلس النساء مع الرجال ولا من الادب ان يأكلن معهم وقد رأيت مراراً بعيني ان الرجل يجلس على مائدة الطعام وامراته قائمة تطرد الذباب عنه وبنته تحمل قلة الماء

بعض النفوس لذة الكسل والخلود الى الراحة لكنه  
يعود عليها بالخسة وشقاء المعيشة

فالحرية هي قاعدة ترقى النوع الانساني ومعراجة الى  
السعادة ولذلك عدتها الامم التي أدركت سر النجاح من  
انفس حقوق الانسان

ومن المعلوم ان المقصود من الحرية هنا هو استقلال  
الانسان في فكره وارادته وعمله متى كان واقفاً عند حدود  
الشرائع محافظاً على الآداب وعدم خضوعه بعد ذلك في  
شيء لارادة غيره اللهم الا في أحوال مستثناة كالجنون  
والطفولية حتى بالنسبة للاطفال رأى علماء التربية الصحية  
ان الضغط على الاطفال ميمت لعزيمتهم ورجحوا أن  
يترك الطفل يتصرف في نفسه بحريته وانما على والديه  
ارشاده ونصحه

فهذه الحرية على ما بها من سعة هي التي يجب أن  
تكون أساساً لتربية نساءنا

يتعجب بعض الناس من طلبى تخويل الحرية للنساء.

منفعتها على الجميع

بحسب هذا الشرط يخضع الفرد الى ماتقرره عليه  
من الاعمال والاموال أما اذا أرادت الحكومة أو أى  
فرد من الناس أن يدخل فى عمل من أعماله أو شأن من  
شؤونه الخاصة فانه يشعر بثقل الضغط عليه ويجد في

نفسه ألم الظلم

ولذلك سببان

الاول ان رأى الحاكم ان طابق هوى شخص فتمد  
يخالف أهواء الاغلب لان الامزجة مختلفة والغرائز  
متباينة والاذواق متفاوتة على حسب الاشخاص  
والاعمار والازمان والامكنة فوضع قاعدة واحدة للجميع  
الاعمال الخاصة بكل فرد لايسهل على الطبائع البشرية  
قبوله . والثانى مادلت عليه التجارب من ان تداخل  
الحاكم فى الشؤون الخاصة للافراد يضعف من قواهم  
ويحرمها القدرة على تأدية وظائفها ويورث النفوس الخمود  
والعجز عن العمل والاتكال على الغير وهو وان اشعر

احوال مبينة . فكانت العيشة الاجتماعية هي أشبه شيء  
 بالعيشة العسكرية يأمر الحاكم حينما يريد بما يريد وما على  
 المحكومين الا ان يطيعوا او امره

ولما تقدم العالم في المدنية تخلص الفرد شيئاً فشيئاً  
 من سلطة الهيئة الاجتماعية ووسع في دائرة حريته  
 وانعكس الامر فما كان في السابق اصلاً عاماً اصبح  
 الآن من المستثنيات . ومن ثم صارت غاية التمرد  
 ان ينال الفرد اقصى ما يمكن من الاستقلال والحرية  
 ذلك لان الانسان ترقى في فكره فهو يرى ان تسليم  
 نفسه الى تصرف الحاكم امر لا تسلم به منزلته من  
 الانسانية ولا يتفق مع راحته وسعادته . ولهذا فهو لا  
 يقبل ان يتنازل لاحد عن حريته ولا ان ياتمن احداً عليها  
 ولو كان اقرب الناس اليه ولا يسمح بان يترك منها الى  
 الحكومة الا بقدر ما يلزم تركه لتمتكن من تأدية وظيفتها  
 وهي المحافظة على الامن العام في الداخل والمدافعة عن  
 سياج الامة في الخارج . وايضا القيام بالاعمال التي تعود

## حرية المرأة

لم يخطأ قدماء الفلاسفة في مسألة خطأهم في معنى الحرية الانسانية وذلك انهم كانوا يعتقدون ان الله خلق الناس على قسمين قسم ميزه بالحرية والقسم الآخر قضى عليه بالرق

وكانت معيشة الاحرار بعيدة عن الاستقلال الذاتي ومتأثرة بسلطة رؤساء العائلات ورؤساء الحكومة والتاريخ يحدثنا بان الحكومة في تلك الاعصر الخالية كانت تتداخل في كل ما يتعلق بالحياة الخاصة وكان لها الشأن الاول في نظام العائلة والتربية والديانة والاخلاق والمواطف حتى انها كانت تحدد في المعاملات التجارية ائمان البضائع . وقد وصلت بها الاترة بالتداخل في شؤون الحياة الخاصة الى حدان قوانين اليونان القديمة كانت تجبر على النساء الخروج من منازلهن الا في



الوظيفة الطبيعية لا تشغل حياة المرأة كلها ولا تشغل كل امرأة فقررنا المساواة بينها وبين الرجل ايضاً فيما يتعلق بالحياة العامة

أما نحن فاننا لا ننظر الى المرأة نظراً الى الرجل ولم تستعد عقولنا الى ادراك هذه الحقيقة الظاهرة وهي ان المرأة انسان مثل الرجل فجردناها عن استعمال جميع حقوق الانسان وحرمانها من جميع مزايا الحياة الخاصة والعامة أما اشتغال المرأة بالاعمال العامة فهو مما لا يدخل تحت مطالبنا في هذا الكتاب ولهذا لا نرى فائدة في الكلام فيه وأما ما يتعلق بالحياة الخاصة للمرأة فهو الذي نقصد البحث فيه وهذا البحث يتناول ثلاث مسائل الاولى حرية المرأة - الثانية الواجب على المرأة لنفسها الثالثة الواجب على المرأة لعاثتها - وستتكم عليها على هذا الترتيب ويلى ذلك مبحث في التربية والحجاب ثم خاتمة تحتوى على حالة الافكار الآن في مصر بالنسبة للنساء

بوظيفتها الطبيعية ولكنها مستعدة بضروب من الاستعداد الى ضروب من الكمال وانها سارت وتسير في طريق الكمال التدريجي منقلة من منزلة الى ارقى منها ومن مرتبة الى ارفع منها

فالقول بلزوم بقائها على حال واحدة لا تتغير ولا تتبدل هو خروج بها عن القوانين الطبيعية التي قضت بتغير حالها في الماضي وتهيئها الآن للانتقال من طورها الحالي الى طور آخر . وبالجمله فالاختلاف بيننا وبين الغربيين منشأه ان الغربيين فهموا طبيعة الانسان واحترموا شخصيته فمنحوا المرأة ما منحوا انفسهم من الحقوق في جميع ما يتعلق بالحياة الخاصة ولم ينازعها احد منهم في حق التمتع بحريتها في الاعمال البدنية والعقلية الا ما حرّمته الآداب وسووا بينها وبين الرجل في كل ذلك وانما اختلفوا في مسألة مساواتها بالرجل في الحياة العامة فيرى بعضهم ان اشتغالها بالاعمال العامة يخرجها عن دائرة وظيفتها الطبيعية ويرى البعض الآخر ان هذه

من حقه مهما كان دينه أولونه أو صنفه فقدمه داس  
بقدميه حق نفسه .

لهذا يشتغل محبو الترقى فى اوروبا وأمريكا لتحسين  
حال المرأة وايصالها من الكمال فوق ما وصلت اليه الآن  
وآلوا على انفسهم ان يجاهدوا فى هذا السبيل حتى يبلغ  
النساء مرتبة الرجال فيساوينهم فى جميع الحقوق الانسانية  
ولا انكر ان عدداً غير قليل من الغربيين لم يزل

يجادل فى صحة أصل المساواة التامة بين الصنفين  
فهناك مذهبان يتزاحمان أحدهما يكتفى بما وصلت اليه  
المرأة الغربية من الحرية والحقوق والثانى يطلب الازيد  
فيها حتى لا يبقى فرق بين الصنفين

هكذا انقسم العالم الانسانى فى كل أمر الى فريقين فريق  
المحافظين وفريق المصاحين كلاهما يريد الخير ويطلب  
السعادة للنوع ولكنهما يختلفان فى طرق الخير وسبل السعادة  
ومن تتبع سلسلة التاريخ فى جميع الازمان يعلم  
علم اليقين ان المرأة فى كل زمان وفى كل مكان قائمة

طول التساؤل رجعوا الى ما هو مركز في طباعهم  
فانكروا عليها هذا الحق وحكموا عليها بان تبقى في  
ظلمات الجهل وفي السجن المؤبد !!

فهل كان ذلك لان المسئلة عويصة تحتاج الى العناء في  
حلها وتقبل اختلاف الآراء فيها ؟ كلا وانما نحن نتصور  
الحرية ولا نشعر في الحقيقة بحبها ونعرف حق الغير ولا  
نجد من انفسنا احتراماً له . نحن في دور التعرير على العمل  
بالاخلاق الحرة ونحتاج الى زمن طويل لترسيخ في نفوسنا  
اما الاوروبون فانهم يقدرون الحرية حق قدرها  
ويحبونها ويحترمونها في غيرهم كما يقدرونها ويحبونها  
ويحترمونها في انفسهم

وهذا شأن من له احساس حقيقي بمزية فضيلة من  
الفضائل فانما الفاضل من اجل الفضيلة اينما كان مظهرها  
قال كوندوروسيه الاصولي الشهير في هذا المعنى :  
« اما ان لا يكون حق حقيقي لاحد من الناس واما ان  
يكون لكل فرد حق مساو لحق الآخرو من جرد غيره

ان كل فرد منا له أن يتمتع بحريته وحقوقه الشرعية  
لا فرق في ذلك بين الذكور والانثى ونحن معاشر الرجال  
لم يزل راسخاً في طبعنا حب الاستئثار بمزايا الحرية وعدم  
احترام حقوق النساء

وهذا يدل على ان سلطان الاخلاق القديمة لا يزال  
نافذاً في نفوسنا وله اثر ظاهر في أعمالنا فنحن وضعنا  
لامة حرة واخلاقنا لا تزال اخلاق امة مسترقة لهذا  
نرى رجالا وروادوا العلم وتنقلوا من مدرسة الى  
مدرسة ومن درجة الى درجة حتى فازوا باعلى لقب علمي  
وفقهاء يعامون الحقوق وشعراء من نوابغ العصر على ما  
يقول العارفون بفهمهم وكتاباً نصبوا انفسهم لافادة الناس  
بجرائد تلقب بالعلمية أو الادبية أو الفنية أو ماشئت من  
هذه الالقاب وخطباء مشهورين بحب الحرية والاستقلال  
رأينا جميع من ذكرنا عندما سمعوا القول بان للمرأة حقاً  
معصوماً وانها انسان محروم أخذوا يتساءلون هل يسوغ  
لهان تخرج من سجنها أو يرفع عنها غطاء من جهلها و بمد

بان لا تتمتع بالحقوق التي اعترف لها بها ثم لما بلغت  
الانسانية مبلغها من المدنية نالت المرأة حريتها التامة  
وتساوى المرأة والرجل في جميع الحقوق اوعلى الاقل في  
معظمها . اربعة احوال يقابلها اربعة ادوار من تاريخ  
التمدن في العالم

فالمرأة المصرية هي اليوم في الدور الثالث من حياتها  
التاريخية بمعنى انها في نظر الشرع انسان حر له حقوق  
وعليه واجبات ولكنها في نظر رئيس العائلة وفي معاملته  
لها ليست بحرة بل محرومة من التمتع بحقوقها الشرعية  
وهذه الحال التي عليها المرأة اليوم هي من توابع الاستبداد  
السياسي الذي كان يخضعنا ونخضع له

ومع ان الاستبداد السياسي أصبح الآن في حالة النزع  
وأشرف على الفوات بحيث لا ترجى له عودة لا يزال  
الرجال عندنا يستبدون على نساءهم

وما سبب ذلك الا أن قوانيننا السياسية قد ارتقت  
قبل أن نرتقي وسبقتنا الى ما لم نصل اليه بعد فهي تقرر

النساء لم يقبلن ان يرتكسن في الجهل بعد ان ذقن طعم الحرية والعلم فرحل الكثير منهن عن وطنه طلباً للمعارف واخذن يهاجرن الى فرنسا وسويسرا والمانيا لتحصيلها وطفقن في مهاجرهن يطمئن في الحكومة وينشرن افكارهن في الكتب والجرائد ويشتركن في المؤامرات مع الرجال فكانت عاقبة افعال المدارس اشتداد ثورة الافكار عما كانت عليه من قبل ففطنت الحكومة الى هذا الامر وعرفت انها اخطأت فقررت في سنة ١٨٨٩ اعادة تلك المدارس وقد زاد عددها من ذلك العهد الى الآن زيادة ظاهرة

هذا هو مجمل تاريخ حياة المرأة في العالم نلخصه في كلمتين عاشت المرأة حرة في العصور الاولى حيث كانت الانسانية لم تزل في مهدها ثم بعد تشكيل العائلة وقعت في الاستعباد الحقيقي ثم لما قامت الانسانية على طريق المدنية تغيرت صورة هذا الرق واعترف للمرأة بشيء من الحق ولكن خضعت لاستبداد الرجل الذي قضى عليها

في سنة ١٧٢٦ حيث صدر امر عال من بطرس الاكبر  
 بإلغاء الحجاب مرة واحدة ثم تولت بعده الامبراطورة  
 كاترين فتعمت عمله واشتغلت من سنة ١٧٦٢ الى ١٧٩٧  
 بتأسيس المدارس للبنات ونشرت بينهن التربية العاقية  
 والادبية

ولكن لما تولى الملك الكسندر الاول وكان يبغض  
 الحرية ووقفت هذه الحركة حتى تولى الملك الكسندر  
 الثاني وكان ميالا الى ترقية بلاده محبا لتقدمها فابطل  
 استبعاد الرجال (الرفاج) وانشأ مدارس كثيرة للبنات  
 للتعليم الابتدائي والثانوي كن يتعلمن فيها العلوم التي  
 يتعلمها الذكور واول مدرسة انشئت على هذا النمط كانت  
 في سنة ١٨٥٧ ولكن لم يمض على هذه النهضة العظيمة  
 زمن كبير حتى رأت الحكومة الروسية ان تقدم النساء  
 في المعارف له اثر كبير في حالة الامة السياسية وان  
 حزب المعارضين للحكومة اخذ يذمها فاقفلت في سنة ١٨٦٢  
 ابواب المدارس العالية في وجوه الرجال والنساء ولكن



الذي قال ( ان القرن الثامن عشر قرر حقوق الرجال  
وسيقرر القرن التاسع عشر حقوق النساء ) حيث قد  
انتهى القرن التاسع عشر ولم يتم شيء كبير من الاصلاحات  
التي يطالب بها كثير من رجال فرنسا غير انه في هذه  
السنين العشر الاخيرة حصل تقدم محسوس في حركة  
الافكار الفرنسية انتهى بنيل النساء حق الانتخاب في  
المجالس التجارية وفي العام الماضي صدر القانون الذي  
يحول النساء حق الاحتراف بصناعة المحاماة

وحال النساء في الممالك الاوروبية الاخرى لا يختلف  
الا قليلا عن حال النساء في فرنسا

اما مملكة روسيا فركزها الجغرافيا في قضى عليها بان تتأثر  
بالمادات الشرقية ولهذا فقد عاش نساؤها من أهل  
الطبقة العالية والطبقة الوسطى محجوبات كنساء الشرق  
مسجونات في البيوت محرومات من التربية والتعليم  
وليس لهن من الحقوق الا ما تسمح به رحمة أزواجهن  
وأوليائهن ولم تبطل هذه العادة من البلاد الروسية الا

الف امرأة وأول مشروع تقدم الى مجلس النواب لتحويله الحقوق السياسية كان في سنة ٦٧ وكان من حسن حظه ان العلامة استوارت ميل هو الذي أخذ على نفسه المدافعة عنه امام المجلس فاكتسب في الحال ثمانين صوتاً من النواب اذ كر من بينهم ديزرائيلي وغلادستون وفي سنة ٧٢ تقدم المشروع ثانياً ونال ١٥٩ صوتاً وفي سنة ٧٣ نال ١٧٢ صوتاً ومازال يتقدم من حين الى حين ويكسب أصواتاً جديدة حتى توفرت له الاغلبية في سنة ٩٧ فافتر عليه مجلس النواب ولم يبق لنفاذه الا تصديق مجلس الاعيان

وفي فرنسا لم تصل حركة الافكار في شأن النساء الى هذا الحد فعدد المشتغلين من النساء بممارسة العلوم قليل وعدد الموظفين في المصالح الاميرية يكاد يكون محصوراً في مصلحة البوستة والتلغراف والتلفون والحرفة التي اتجهت اليها على الخصوص نساء فرانساهي التجارة وقد خاب ظن فيكتور هيوجوا كبر شعراء العصر في فرنسا

انه تبين من الاحصائية التي عملت في سنة ١٨٨٠ ان  
النساء المحترفات بالعلوم والادبيات فقط بلغ عددهن  
خمسة وسبعين في المائة و٦٣ في المائة في التجارة و٦٢  
في المائة في الصناعة

فاذا انتقلنا من اميركا الى انكلترا وهي اقرب الامم  
اليها وجدنا ان اشتغال النساء بالعلوم والصنائع لا يقل  
تقريباً عما يشاهد في اميركا فقد تتج من احصائيتها الاخيرة  
ان مليوناً منهن يشتغلن بالعلوم والادبيات وثلاثة مليون  
بالتجارة والصناعة

وللنساء الانكليزيات حق الانتخاب في المجالس البلدية  
وفي مجتمعات المعارف والجمعيات الخيرية ولم يفت النساء  
التمتع بهذه المزايا حتى في المستعمرات الانكليزية كالكاب  
وكندا واوراليا

اما مسألة منحهن الحقوق السياسية فهي لا تزال في  
دور التحضير واول طلب تقدم من النساء الانكليزيات  
الى مجلس النواب كان في سنة ١٧٦٦ وامضى عليه ستمائة

بلغ عدد هـن خمسة وتسعين في المائة في المدارس الابتدائية  
قال بول بورجيه الكاتب الفرنسي الشهير في كتاب  
حديث ألفه عقب زيارته أمريكا في وصف حال نساها  
مايأني

- « اذا زرت مدرسة عمومية وجدت البنات يدرسن »  
 « مع الصبيان في مكان واحد والاستاذ الذي يلقي لدرس »  
 « رجلاً أو امرأة بلا فرق واذا دخلت في معمل علمي »  
 « وجدت بناتاً محنيات الرؤس على آلة الميكروسكوب »  
 « وبجانبهن شبان من طلبة العلم السكل مشتغل بفحص »  
 « مسئلة من علم التشريح وبزورك احد مكاتبى الجرائد »  
 « من غير ان يسمى نفسه فتجد انه امرأة وتروم »  
 « استدعاء احد الاطبا المشهورين فتجد عدد الاطباء »  
 « من النساء مساوياً لعدد الاطباء من الرجال وان لم »  
 « يكن مساوياً في بعض الجهات فهو من الكثرة »  
 « بحيث لا يعد التطب مهنة من قبيل النادر »  
 ويكفي لبيان ارتقاء شأن المرأة الامريكانية ان نقول

« عن مصالح منزلها بالمصالح العامة ولم ار شقاقا بين »  
 « زوجين بسبب اختلاف آرائهما السياسية ولم اسمع »  
 « به على انى اعرف عدة عائلات ينتمى فيها الزوج الى »  
 « حزب وزوجته الى حزب آخر »

على ان المرأة الامريكانية منحت في جميع الولايات  
 المتحدة حظا عظيما من الحقوق العمومية فلم ان تحترف  
 بحرفة المحاماة وترافع امام جميع المحاكم ويوجد قضاة من  
 النساء في ولاية كانساس ويومنج وكولومبيه وشيلى  
 وزيلنده وغيرها وعين بعض افرادهن في وظيفة نائب  
 عمومي ويوجد عدد عظيم منهن في نظارات الخارجية  
 والداخلية والحربية

اما عدد النساء المشتغلات بتحرير المقود الرسمية  
 والنساء القسيسات والمهندسات ومديرات الجرائد  
 والمستخدمات في الرصدخانات والبوستة والتلغراف  
 فلا يكاد يحصى

وتشغل النساء اغلب الوظائف في ادارة المعارف فقد

هنا رأى القاضى الامريكاني جون لينجمان وقد نشر في سنة ١٨٨٢ فى اهم جرائد اوروبا قال :

- « كان الرجال قبل اشتراك النساء فى الوظائف »  
 « العمومية اذا اجتمعوا فى مكان لا يخلو جيب واحد »  
 « منهم من مسدس فاذا قام نزاع خفيف بين بعض »  
 « الحاضرين لم يكن ينتهى عادة الا بقتل او جرح »  
 « وكان لمحلفون يحكمون فى الغالب ببراءة الجانيز فلما »  
 « اشتراك النساء فى الوظائف القضائية مع الرجال نتج »  
 « عن ذلك معاقبة المذنبين وكذلك كان المحلفون لا »  
 « يهتمون بالمقوبة على السكر والقمار والفجور فتغير »  
 « الحال الآن - وقد ترتب على حضور النساء فى »  
 « الجلسات اننا نرى الآن قاطعاً متحلية من النظام »  
 « والادب والوقار باكثر مما كان يعرف فيها من قبل »  
 « ولم يترتب على اشتغال النساء بالوظائف العمومية »  
 « انهن اهملن ما يجب عليهن فى منازلهن ولم يصل الى »  
 « علمى ان زوجاً اشكى من زوجته بسبب اشتغالها »

و كولو رادو و ايداهو

اما في بافي ولايات اميركا فالمرأة لم تنل الى الآن حقوقها السياسية ولكن كل مطلع على حركة الرأى العام فيها لا يشك انها ستنال هذه الحقوق في زمن قريب جداً واليك رأى رجلين من اكبر رجالها السياسيين قال سميلون المصوفى مجلس شيوخ الولايات المتحدة: « انى اعتقد ان انتشار الفسق في مدننا الكبيرة لا يمكن ان يضيق نطاقه الا اذا منحت النساء حق الانتخاب » ومن رأى جيلبير هافيه وهو أيضاً من أعضاء مجلس الشيوخ « ان فساد الاخلاق السياسية لا يصلحه الا اشتراك النساء فى الانتخابات لاننا نعلم ان الحمارة هى مجلس البلدية ومركز الانتخابات وما ذلك الا لأن الحمارة هى المحل الوحيد الذى لا تدخل فيه المرأة »

لعل القارى يستغرب كيف ان الرجال فى امريكا يرون ان لاسبيل الى محاربة الفسق وفساد الاخلاق الا بمعونة النساء . هذا أمر يحتاج الى البيان ولذلك انقل

« وان جميع المصائب التي كنا نهدد بحلولها مثل فقد  
 « النساء رقة الطبع واضطراب النظام في معيشتنا  
 « المنزلية لم نر لها أنراً إلا في مخيلات خصومنا »  
 « ان السواد الاعظم من نساتنا قدرن حقوقهن »  
 « الجديدة حق قدرها واعتبرن القيام بها واجبا وطنياً »  
 « وبالجملة فاني اقول ان تجربة اثنتى عشرة سنة مع  
 « النجاح الباهر قد مكنت في عقولنا ونفوسنا ان  
 « مساومة المرأة للرجل مما لا يرتاب فيه »  
 « كل هذه المقدمات تنساق بنا الى طلب الكمال  
 « في حالتنا الاجتماعية حتى نجعل ولاية يومنج نجماً  
 « يهتدى به العالم في الحركة العظيمة التي تصعد بالانسان  
 « الى ذروة الحرية »

وليس على ان اضيف على آراء هؤلاء الرجال العظام  
 الا ان قانون سنة ٦٩ لا يزال معمولاً به الى الآن في  
 يومنج وان ثلاث ولايات اميركانية قد حذت حذوتك  
 الولاية وخولت النساء الحقوق السياسية وهي ولاية آوته



« بالنساء وفي رأبي ان هذه نتيجة حسنة لانهما وافقة »  
 « لمصالح أمتنا »

ثم بعد ذلك بخمس سنين في ١٢ يناير سنة ٨٢ خطب  
 رئيس آخر يدعى جون هويت بما هو آت .

- « ان مملكة يومنج هي المكان الوحيد الذي تتمتع فيه »  
 « النساء بجميع الحقوق السياسية الممنوحة للرجال بلا »  
 « فرق بين الصنفين وهذا الاقدام من امتنا التي »  
 « أرشدها حيب الحق والعدل الى إصلاح خطأ طال »  
 « عليه الزمن قد وجه انظار العالم اليها . واثن زعم »  
 « اخصامنا اننا لانزال في دور التجربة فمكننا نعلم ان »  
 « هذا الدور قد انقضى بالنسبة اليها . واني اصريح هنا »  
 « بأن اشترك النساء في اعمال الحكومة مع الرجال »  
 « ترتب عليه ان القوانين عندنا أصبحت أحسن مما »  
 « كانت عليه وان عدد الموظفين الاكفاء وصل الى »  
 « درجة لم تهملها من قبل وان حالتنا الاجتماعية ارتقت »  
 « كثيرأ وهي الآن تفوق ما عليه سائر البلاد الاخرى »

(٩)

« على حسن الظن بفطرة المرأة . وما دام الحال على »

« هذا المنوال فلهنّ الحق في الاستمرار

وبعد تجربة اخرى مدة أربع سنين قال الرئيس

المدكور :

« مضى اليوم ست سنين ونحن نجرب النساء في »

« استعمال حقوقهنّ السياسية وقد أعلنت رأيي في »

« جلسة سابقة وصرحت بالفوائد التي أظهرتها التجربة »

« والآن اقول ان ما شاهدته في مدة هذه الاربع »

« سنين اقنعتني اقناعاً تاماً باننا أصبنا في تخويل النساء »

« حق الانتخاب وان مساواة المرأة للرجل في الحقوق »

« السياسية قد نجحت بالتجربة نجاحاً لا يمارى فيه أحد »

وبعد ذلك بسنتين تعين رئيس آخر للحكومة وهو

الجنرال طائر وقد انتخب من بين أعضاء مجلس شيوخ

الولايات المتحدة نثب قائلاً :

« لقد مضى ثمان سنين والنساء يتمتعن في أرضنا »

« بالحقوق السياسية وكل يوم يمرّ يزيد الاهالى ثقة »

تساوى المرأة والرجل من البلاد الاميركية فى جميع الحقوق الشخصية وفى بعض تلك الولايات تمت المساواة بينهما أيضاً فى الحقوق السياسية

ففى ولاية فيومنج نالت النساء حق الانتخابات السياسية من سنة ١٨٦٩ وانى انقل هنا رأى رئيس حكومتها الموسيو شامبل الذى جاهر به فى خطبة القاها بعد سنتين من العمل بهذا القانون قال .

- « مضت سنتان والنساء بحكم القانون يستعملن »  
 « حقوقهن السياسية فينتخبن نواب الامة وينبن »  
 « بانفسهن عنها ويجلسن فى مراكز القضا ويؤدين »  
 « ما دون ذلك من الوظائف العمومية ومن العدل ان »  
 « نعترف ان النساء قد قمن بهذه الواجبات الجديدة »  
 « على وجه من الرزانة وحصافة الرأى وسلامة الذوق »  
 « لا ينقص عما يقوم به الرجال . وهذه التجربة بالنسبة »  
 « تقصر مدتها لا تصلح ان تكون دليلاً مقنعاً لاثبات »  
 « استعداد المرأة فى القيام بهام الحكومة لكنها تحمل »

(٧)

البلاد التي تتمتع فيها النساء بحريتهن الشخصية يتمتع  
الرجال بحريتهن السياسية فالحالتان مرتبطتان ارتباطاً كلياً  
وان لسائل ان يسأل أى الحالتين اثرت في الاخرى  
نقول انهما متفاعلتان وان اكل منهما تأثيراً في مقابلهما  
وبعبارة اخرى ان شكل الحكومة يؤثر في الآداب  
المنزلية والآداب المنزلية تؤثر في الهيئة الاجتماعية  
انظر الى البلاد الشرقية تجد ان المرأة في رق الرجل  
والرجل في رق الحاكم فهو ظالم في بيته مظلوم اذا خرج  
منه ثم انظر الى البلاد الاوروبية تجد ان حكوماتها  
مؤسسة على الحرية واحترام الحقوق الشخصية فارتفع  
شأن النساء فيها الى درجة عالية من الاعتبار وحرية  
الفكر والعمل وان كن لم يصلن الى الآن الى مستوى ما  
اعد لهن ثم انتقل الى بلاد امريكا تجد رجال مستقلين  
في معيشتهم الخاصة استقلالاً تاماً وان سلطة الحكومة  
وتداخلها في شؤون الافراد يكاد يكون معدوماً ولهذا  
زادت حرية النساء فيها عما هي في أوروبا بكثير حيث

حكومة سياسية ظهرت في العالم وقد اضمحل ثم زال بعد  
ان اقام اجيالاً في البلاد الغربية وحل محله النظام الدستوري  
المؤسس على ان الحاكم ليس له حق على الاشخاص  
ولا على الاموال الا ما تفرضه القوانين  
والكنه لا يزال سائداً في الشرق عامة حيث نرى سكان  
الصين والهند وبلاد العرب والترك والعجم خاضعين  
الى سلطة حكومة لم تتغير عما كانت عليه من آلاف  
من السنين

وليس هنا محل البحث عن الاسباب التي وقفت بهذه  
الجمعيات الشرقية عند حد العجز عن التخلص من  
الاستبداد المزمع الذي حرمها الترقى في المدينة وحصر  
حركاتها في مدار واحد بدون ان تنتقل من مكانها وانما  
يهنأ هنا ان نثبت أمراً يتعلق بموضوعنا وهو وجود  
التلازم بين الحالة السياسية والحالة العائلية في كل بلد في  
كل مكان حظ الرجل من منزلة المرأة وعاملها معاملة  
الريق حظ بنفسه وافقدها وجدان الحرية وبالعكس في

(٥)

خالدة وعرضت هذه المسئلة على المجمع الذى انعقد فى  
ماكون فى سنة ٥٨٦ فقرر بعد بحث طويل ومناقشة  
حاددة ان المرأة انسان ولكنها خلقت لخدمة الرجل وكان  
من الضرورى ان تعيش تحت قيامة رجل وهو أبوها  
قبل زواجها ثم زوجها بعد الزواج واحد ابناها اذا مات  
الزوج أو احد اقاربها من الذكور أو اقارب زوجها ان لم  
يكن لها اولاد ولا يجوز لها فى أى حال ان تتصرف  
بنفسها وكانت غير أهل للشهادة فى العقود ولا للوصاية  
على اولادها القصر ولا لان تكون حكماً أو أهل خبرة  
وشوهد فى بعض ولايات سويسره ان شهادة امرأتين  
تساوى شهادة رجل واحد ولا تزال آثار هذه الاحكام  
باقية الى الآن فى كثير من ممالك اوروبادلك لان مبدأ  
تشكيل الحكومة كان على صورة العائلة والحكومة  
التي تؤسس على السلطة الاستبدادية لا ينتظر منها ان  
تعمل على اكتساب المرأة حقوقها وحريتها  
هذا الضرب من الحكومة الاستبدادية هو اول

لشخص آخر فاذا مات انتقلت مع تركته الى وراثته من  
 اولادها المذكور أو غيرهم  
 ومما يتبع هذه الحال ان المرأة لا تملك شيئاً لنفسها ولا  
 ترث وان يتزوج الرجل بعدة نساء لان الوحدة في  
 الزواج تفرض المساواة بين الزوجين في الحقوق  
 والواجبات . ثم خفت صولة الرجل على المرأة نوعاً بتأثير  
 الحكومة فردت اليها حق الملك كله أو بعضه وحق  
 الارث تماماً أو ناقصاً على حسب الشرائع وليكن حماية  
 الحكومة للمرأة لم تبلغ في أى بلد من البلاد الى حد انها  
 سوت بين الرجل والمرأة في الحقوق فالمرأة في الهند  
 كانت مجردة عن شخصيتها الشرعية وعند اليونان كانت  
 النساء مكلفات بان يعشن في الحجاب التام ولا يخرجن  
 من بيوتهن الا عند الضرورة وعند الرومان كانت المرأة  
 فى حكم القاصر وفى مبداء تاريخ اوروبا عند ما كانت  
 خاضعة الى سلطة الكنيسة والقانون الرومانى كانت فى  
 اسوأ حال حتى ان بعض رجال الدين انكروا ان لها روحاً

ولما ودع الانسان بداوته واتخذله وطنًا قارًا واشتغل  
 بالزراعة وجد نظام البيت ومن اهم ما ساعد على تشكيل  
 العائلة انه كان لكل عائلة معبود خاص بها تختار من  
 بين اسلافها كما كان جاريا عند اليونان والرومان والهنود  
 والجرمانيين وكما هو جار الى الآن عند الامم المتوحشة  
 وله بقية في بلاد الصين وكانت العائلة تقدم القربان الى  
 آلهتها فكان هذا باعثًا للرجل علي استبقاء ذرية تقوم  
 بتأدية الخدمات الدينية

وترتب على دخول المرأة في العائلة حرمانها من استقلالها  
 لذلك نرى رئيس العائلة عند اليونان والرومان والجرمانيين  
 والهنود والصينيين والعرب مالكا لزوجته وكان يملكها  
 كما يملك الرقيق بطريق الشراء بمعنى ان عقد الزواج كان  
 يحصل على صورة بيع وشراء وهذا امر يعلمه كل مطلع  
 على القانون الروماني وذكره المؤرخون ورواه السواح  
 المعاصرون لنا . يشتري الرجل زوجته من ابيها فتنتقل اليه  
 جميع حقوق الاب عليها ويجوز له ان يتصرف فيها بالبيع



السواح المعاصرين لنا مؤيدة لما جاء به التاريخ فان جميع  
السواح الذين طافوا بلاد تايى وجزائر مريكو وغيرها  
من اقليم استراليا وزيلنده الجديدة وبعض بلاد الهند  
وافريقيا ذكروا ان الزواج غير معروف في تلك البلاد  
ولا خلاف في ان المرأة التي هذه حالها تعيش مستقلة  
تعول نفسها بنفسها مساوية للرجل في جميع الاعمال بل  
لها من المزية عليه ان نسب الاولاد يتعلق في الغالب بها  
وحدها فالمرأة في هذا الدور الاول هي ذات الشأن في  
الهيئة الاجتماعية وربما كانت تشترك في الدفاع عن قبيلتها  
مع الرجل ويدل على ذلك ذكر وقائع الفارسات في  
التواريخ القديمة ووجود عادة منتشرة الى الآن في بعض  
البلاد تقضى بتجنيد النساء كما تجند الرجال ومن هذا  
القبيل ان ملك سيام له عدد من النساء عهد اليهن حراسته  
وكان لملك الداومية بهانزن الذي استولى الفرنسيون  
على بلاه من بضع سنين خمسمائة جندي من الرجال  
وخمسمائة من النساء

## المرأة في حكم التاريخ

لا يمكن معرفة حال المرأة اليوم الا بعد معرفة حالها في الماضي . تلك هي قاعدة البحث في المسائل الاجتماعية فاننا لا يمكننا ان نقف على حقيقة حالنا في أى شأن من شؤوننا الا بعد استقراء الحوادث الماضية والامام بالادوار التي تقلبت فيها وبعبارة أخرى يلزم ان نعرف من أى نقطة ابتدأنا حتى نعلم الى أى نقطة نصل

ذكر شيخ المؤرخين هيرودوت ان علاقات الرجل مع المرأة كانت متروكة الى الصدفة ولا تفترق عما يشاهد بين الانعام وكان الشأن اذا ولدت المرأة ولداً ان يجتمع القوم متى وصل الولد الى سن البلوغ وينسبوه الى أشبه الناس به . وهذه العادة كانت معروفة أيضاً عند القبائل الجرمانية وعند العرب في الجاهلية وقد جاءت روايات

في تدبير ثروتها والتصرف فيها وحثت على تعليمها وتهذيبها  
ولم تحجر عليها الاحتراف باى صنعة والاشتغال باى عمل  
وبالغت فى المساواة بينها وبين الرجل الى حد ان اباحت  
لها ان تكون وصية على الرجل وان تتولى وظيفة الافتاء  
والقضاء اى وظيفة الحكم بين الناس بالعدل . وقد ولى  
عمر رضى الله عنه على اسواق المدينة نساء مع وجود  
الرجال من الصحابة وغيرهم مع ان القوانين الفرانساوية  
لم تمنح النساء حق الاحتراف بصنعة الحمامة الا فى العام  
الماضى . اذا كانت شريعتنا تحامى عن المرأة الى هذا الحد  
وتمنحها هذه الدرجة من الحرية فهل يجدر بنا فى هذا  
العصر ان نغفل عن مقاصد شرعنا ونهمل الوسائل التى  
تأهل المرأة الى استعمال هذه الحقوق النفيسة ونضيع  
وقتنا فى مناقشات نظرية لا تخرج الاتعويقنا عن التقدم  
فى طريق اصلاح احوالنا ؟

لا اظن ان ذلك يليق بنا وأرجوان كثيرآ من القراء  
يرون مثل رأينا

(خ)

بالتساهل في فهم الدين وعدم مراعاة أحكامه ثم اذا  
تحركت غيرة لمرض رأى يظن ان فيه خيراً للامة تحولت  
انظارهم الى هؤلاء العلماء واستفتونهم عن رأيهم فيه  
وغاب عنهم ان الذين يحاربون الاصلاح ولا يفرضون  
لتعلمهم العلوم العصرية فائدة تعود عليهم في تهذيب عقل  
أو استكمال ادب أو تقويم عمل ولم يقبلوا تدريس علم  
الجغرافيا والتاريخ الا رغم أنهم ليس لهم مقام لا من العلم  
ولا من الدين يسمح لهم بابداء رأى في شأن من شؤون  
الامة فضلاً عن مسألة من أهم مسائل الاجتماع البشرى  
والمطلع على الشريعة الاسلامية يعلم ان تحرير المرأة  
هو من انفس الاصول التي يحق لها ان تفتخر به على  
سواها لانها منحت المرأة من اثني عشر قرن مضت  
الحقوق التي لم تنلها المرأة الغربية الا في هذا القرن  
وبعض القرن الذي سبق . حتى انها لا تزال محرومة  
من بعض الحقوق وهي الآن مشغلة بالمطالبة بها  
فاذا كانت شريعتنا قررت للمرأة كفاءة ذاتية

(ح)

« واما الامر الثالث وهو حكم الشرع في هذه »  
« المكالمة فالمعروف ان الشرع انما حرم الخلوة بالمرأة »  
« الاجنبية . واخبار الصدر الاول مستفيضة بمكالمة »  
« النساء للرجال وحديثهن معهم في الملاء دون الخلوة »  
« وكيفاك ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم - وهنَّ »  
« اللاتي امرن بالمبالغة في الحجاب - كنَّ يحدثن »  
« الرجال حتى ان السيدة عائشة كانت قائدة عسكر »  
« ومدبرة له في وقعة الجمل المعروفة وما اخال ان مكابراً »  
« يقول انها لم تكن تكلم أحداً منهم الا اذا محرم »

هذا هو رأى رجل عرف الناس جميعهم مكانه  
من الدين . ولو كان اهل الازهر يشتغلون بفهم مقاصد  
دينهم بدلا عن اشتغالهم بالالفاظ والتراكيب النحوية  
واللغوية لما اختلفوا معنا في شيء مما قلناه

ومن العيب ان الجرائد واصحاب الافكار يرمون  
كل يوم علماء الدين الاسلامى بانهم السبب في انحطاط  
وتأخر الامم الاسلامية عن سواها في المدنية ويصفونهم

(ج)

واخلاق رثة وعادات سخيفة وانما نكتب لاهل العلم  
وعلى الخصوص للناشئة الحديثة التي هي مستودع امانينا  
في المستقبل فهي التي بما اكتسبته من التربية العلمية  
الصحيحة يمكنها ان تحل مشكلة المرأة المـكان الذي  
تستحقه من العناية والبحث

لم نر هذه الدفعة حاجة الى التكلم على الحجاب من  
الجهة الدينية فان ما اوردناه في كتاب تحرير المرأة من  
النصوص القرآنية صريح في اباحة كشف الوجه واليدين  
ومعاملة النساء للرجال . وقد وافقنا على ذلك كثير من  
علماء المسلمين الذين نقلنا آراءهم . اما ان فريقياً آخر من  
الفقهاء استحسن التشديد في الحجاب فهذا رأينا لا يلزمنا  
الدين باتباعه

واذا كان في هذه المسئلة قولان فمن الصواب ان  
يرجع القول الموافق للحرية الانسانية وللمصلحة العامة  
وقد كتب صاحب مجلة المنار كلمة في الحجاب  
توردها هنا تأييداً لرأينا . قال :

(ث)

اللائق بصفتها فتمنح نصيبها من الرقي في العقل والادب  
ومن سعادة الحال في المعيشة وتحسن استعمال مالها من  
النفوذ في البيت

اذا تم ذلك فنحن على يقين لا يزعه ادنى شك  
من ان هذه الحركة الصغيرة تكون أكبر حادثة في  
تاريخ مصر

اذا كان هذا هو اعتقادنا فهل يصح أن يصدنا عن  
المثابرة في السعى الى تحقيق آمالنا ان الجمهور من العامة  
لم يلتفت اليه أو ان بعض الكتاب اظهروا السخط عليه  
ما بين منتقد لم يتفق رأيه مع رأينا وساخر يقضى عمره  
في السفساف ومفتري ينكر علينا حسن نيتنا؟

نحن لانكتب طمعاً في أن ننال تصفيق الجهال  
وعامة الناس الذين اذا سمعوا كلام الله وهو الفصيح  
لفظه الجلي معناه لا يفهمونه الا اذا جاء محرفاً عن وضعه  
منصرفاً عن قصده برأى شيخ هو أجهل الناس بدينه  
ولا يحبون الوطن الا اذا تمثل لا عينهم في صورة قبيحة

( ت )

وملكاتها وان من الخطأ حرماتها من الوسائل التي تمكنها  
من الانتفاع منها

ومن ذلك الحين دخلت المرأة الغربية في طور  
جديد وأخذت في تثقيف عقلها وتهذيب أخلاقها شيئاً  
فشيئاً ونالت حقوقها واحداً بعد الآخر واشتركت مع  
الرجال في شؤون الحياة البشرية وشاركتهم في طلب العلم  
في المدرسة وسماع الوعظ في الكنيسة وجالستهم في  
منتديات الادب وحضرت في الجمعيات العلمية وساحت  
في البلاد . ولم يعض على ذلك زمن طويل حتى اختفت  
من عالم الوجود تلك - الانثى - تلك الذات البهيمية  
التي كانت مغمورة بالزينة متسرولة بالازياء منغمسة في  
اللهم وظهر مكانها امرأة جديدة هي المرأة شقيقة الرجل  
وشريكة الزوج ومربية الاولاد ومهذبة النوع !

- هذا التحويل هو كل ما نقصد

غاية ما نسعى اليه هو ان تصل المرأة المصرية الى  
هذا المقام الرفيع وأن تخطو هذه الخطوة على سلم الكمال



(ب)

من الرق ثم أكمل عمله بان نسخ معظم ما كان الرجال يرونه من مزاياهم التي يفضلون بها النساء ولا يسمحون لهن بان يساوينهم في كل شئ

كان الاوروبيون يرون رأينا اليوم في النساء وان امرهن مقصور على النقص في الدين والعقل وانهن لسن الاعوامل الفتنة وحبائل الشيطان وكانوا يقولون ان « ذات الشعر الطويل والفكر القصير » لم تخلق الا لخدمة الرجل وكان علماءهم وفلاسفتهم وشعراءهم وقسمهم يرون من العبث تعليمها وتربيتها ويسخرون بالمرأة التي تترك صناعة الطعام وتشتغل بمطالعة كتب العلم ويرمونها بالتطفل على ما كانوا يسمونه خصائص الرجال

فلما انكشفت عنهم غشاوة الجهل ودخل حال المرأة تحت انتقاد الباحثين اكتفوا انهم هم أنفسهم منشأ انحطاطها وسبب فسادها وعرفوا ان طبيعتها العقلية والادبية قابلة للترقي كطبيعة الرجل وشعروا انها انسان مثلهم لها الحق في أن تتمتع بحريتها وتستخدم قواها

# بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

## مقدمة

المرأة الجديدة هي ثمرة من ثمرات التمدن الحديث بدأ ظهورها في الغرب على أثر الاكتشافات العلمية التي خلصت العقل الانساني من سلطة الاوهام والظنون والخرافات وسلمته قيادة نفسه ورسمت له الطريق التي يجب أن يسلكها . ذلك حيث أخذ العلم يبحث في كل شئ وينتقد كل رأى ولا يسلم بمقال الا اذا قام الدليل على مافيه من المنفعة للعامة . وانتهى به السعى الى أن أبطل سلطة رجال الكنيسة والنفي امتيازات الاشراف ووضع دستوراً لاهلوك والحكام وأعتق الجنس الاسود



الى صديقي سميد زغلول

فيك وجدت قلباً يحب وعقلاً يفكر و ارادة تعمل  
انت الذي مثلت الى المودة في اكمل اشكالها .  
فادركت ان الحياة ليست كلها شقاء وان فيها ساعات  
حلوة لمن يعرف قيمتها

من هذا امكنتي ان احكم ان هذه المودة تمنح  
ساعات احلى اذا كانت بين رجل وزوجته  
ذلك هو سر السعادة الذي رفعت صوتي لاعلنه  
لابناء وطني رجالا ونساء ما

قاسم امين

١٥ اغسطس سنة ١٩٠٠



HQ

1793

Q36

1911

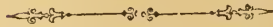
Mar'ah...

# المرآة الخبيثة

تأليف

المعروف فاسم امين بك

المستشار بمحكمة الاستئناف



« طبع على نفقة »

## خليك صادقاً

صاحب مجلة مسيرات الشعب

---

مطبعة الشعب في دار الخرافين

١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م







**PLEASE DO NOT REMOVE  
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET**

---

**UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY**

---

